

زوال إسرائيل حتمية قرآنية

للشيخ أسعد التميمي

إمام المسجد الأقصى
أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين

زوال اسرائيل

حتمية قرآنية

الشيخ

أسعد بيوض التميمي

إمام المسجد الأقصى ومذيره سابقة



للطبع والنشر والتوزيع
شارع كامل صدقي بالفجالة
القاهرة ت ٩١١٣٧١

زوال اسرائيل
حتمية قرآنية

زوال إسرائيل

حتمية قرآنية

الشيخ

أسعد بيوض التميمي

إمام المسجد الأقصى ومديره سابقاً

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منذ أن أرسل الله تعالى محمداً . صلى الله عليه وسلم . بالهدى ودين الحق . ليظهره على الدين كله ، بدأت عداوة اليهود للنبي وللمسلمين. وكان اليهود في المدينة يعرفون أن آخر الأنبياء قد أطل زمانه . وكانوا يتمنون أن يكون هذا النبي منهم ، فلما حاء من غيرهم (الله اعلم حيث يجعل رسالته) تنكروا له وتآمروا عليه ، وحرضوا المشركين على قناله ، وحاولوا اغتياله مع انهم يعرفونه (كما يعرفون أبناءهم) . وهكذا عادى اليهود المسلمين وتآمروا على الإسلام واستمر عداؤهم عبر التاريخ لم ينقطع ولم يتوقف. وتحالفوا في هذا القرن مع القوى المعادية للإسلام من النصارى والماسونيين والشعوبيين والشيوعيين . فكوّن الجميع جبهة واحدة لتمزيق بلاد المسلمين وهدم كيانهم ، وإبعاد الإسلام عن التأثير في الحياة . وتوجيه المسلمين توجيهاً خاطئاً . فنجحوا في ذلك وبلغوا الذروة في نجاحهم يوم هدموا الدولة الإسلامية فتسللوا الى الأرض المباركة (الجزء الجنوبي الغربي من ديار الشام) فلسطين. وأقاموا دولة لليهود . وقد تم أخذ كل فلسطين وسيناء والجولان .

وهذه الدولة مصيرها الى الزوال كما سأبينه في هذا الكتاب مستنداً الى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة في قتال اليهود رغم ما يجري الآن من محاولات لتثبيت إسرائيل دولةً والذي تولى كبرها الرئيس (المؤمن) بدولة اليهود - السادات - الذي دخل التاريخ كأخزى حاكم يمارس الخيانة بلا خجل ولا حياء. وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: (الحياء من الإيمان). وهو في محاولته لتثبيت إسرائيل دولة أعلن أنه (ممنوع تسييس الإسلام). فهو يريد أن يفرغ الإسلام من مضمونه ويلغي تسعة أعشاره ليبقى الإسلام دين المتبطلين وأصحاب البطنة من علماء السوء والذين يباركون كل حاكم فيما يعمل. فان كان الحاكم اشتراكياً فالاسلام اشتراكي. وإن كان رأسمالياً ربوياً فالاسلام رأسمالي لا يحرم الربا. وإن كان محارباً فالإسلام أمر بالجهاد. وإن كان خائناً مستسلماً فسرعان ما يحرفون الكلم عن مواضعه ليبرروا خيانته (إسلامياً)... قائلين: «**وان جنحوا للسلم فاجنح لها**» (٦١: الانفال) مع أن هذه الآية لا تكون إلا في حالة الجهاد حينما يطلب الكفار ان يسلموا للمسلمين. أما في حالة الخيانة التي قام بها السادات فان الله يقول للمؤمنين، وليس للسادات، «**ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**» (٣٥: محمد). فهم مع الحاكم وليسوا مع الإسلام. إنهم يبحثون عن المناصب والدرجات الدنيا والمتع الرخيصة يلعقونها.

وقضية الدين والسياسة «وتسييس» الدين قضية لم يعرفها المسلمون إلا في العهد الذي غزاهم فيه الكفر فاحتل بلادهم. إذ أن معنى السياسة هي رعاية شؤون الناس أفراداً وجماعات ودولة فهو يبين أحكام الطهارة وأحكام

الجهاد وأحكام الانتصار وأحكام المعاهدات الدولية وأحكام القانون الدولي (المعاهد الحربي المستأمن) وكل ما يحتاجه الفرد والجماعة والدولة من أحكام.
فاذا أراد بعض الحكام أن تبقى السياسة لهم ولأعوانهم ممن فقدوا الطهر وتسلقوا المناصب بالكذب والنفاق والخداع وبتوصية من السفارات وأعلنوا استعدادهم لكل عمل يكلفون به. ولو كلفهم دينهم ومروءتهم ورجولتهم. فهم ليسوا من الإسلام في شيئ وسياسة الإسلام ليست هذه. وحينما كان الإسلام هو الذي يسوس صعدت أمتنا الى قمة الدنيا وقادت الانسانية. وحينما ساس الأمة دساتيرُ الغرب الرأسمالي، وكلها كفر. والشرق الشيوعي وكلها إلحاد، كان السياسيون من نوع الدساتير الكافرة، فهم يمتازون بالإعراض عن الله والتحلل من كل فضيلة والاستهزاء بالإسلام وأهله ولا يرى أحدهم إلا حياته يحياها. أما الآخرة فلا شأن له بها **«إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»** (٢٤ : الجاثية).

وظن الغرب واليهود وأعوانهم أن الأمر سيستمر لهم. ولكن أبشّرهم بأنهم يخطئون وأن نصر الله للمسلمين آت وأن حزب الله سيغلب وأننا على أبواب نصر حتمي سيبدأ حينما تزول دولة اليهود وأنظمة التجزئة الى مزابل التاريخ.

ومنذ سنوات وأنا أبشر الناس بالنصر المرتقب الذي بشّرتْ به الآيات والأحاديث. وكانت العلامة عندي هي تحول الشباب في بلاد المسلمين الى الإسلام فجاة. وكان كثير من الناس يستغرب من تفاؤلي (المسرف) ولكني كنت، ولا أزال. واثقاً من نصر الله.

فلما جاءت أحداث إيران زُلزِل الكفر زلزلة واشرأبت أعناق المسلمين. وكان المسلمون جميعاً يعيشون معها ساعة بساعة يحيطونها بقلوبهم حتى تم نصر الله لها. وإني أبشر المؤمنين أن الذي له حياة منا سيرى زوال دولة اليهود وتوحيد الأمة وعودة الإسلام إلى قيادة البشرية **«فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون»** (٥٩ : الروم) ...

أسعد التميمي

الإسراء وعلاقته بقضية المسلمين في الأرض المباركة

اشتد الصراع بين النبي، صلى الله عليه وسلم. وبين الكفار من قريش حيث خافت قريش على ما يوفره الكفر لها من امتيازات طبقية ودينية. وأخذ الصراع بين الحق والباطل يتصاعد بين الدين الجديد وما يمثله من خير للإنسان وما يعطيه للبشرية من حياة كريمة يعبد فيها الانسان ربه الذي خلقه، ويسجد لبارئه الذي أوجده فلا يسجد لبشر، ولا ينحني أمام حجر أو شجر، ولا يعبد فلكاً ولا مظهراً من مظاهر الكون، وإنما يستمد العزة لنفسه من عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

اشتد الصراع بينه وبين الشرك وما يمثله من انحطاط في الفكر الإنساني والسلوك البشري الذي يظهر في السجود لحاكم أو كاهن أو حجر أو شجر أو فلك... ذلك الانحطاط الذي ينتج عنه أن الغرائز في الإنسان تتحكم في مسيرته، لا مقياس عنده يقيس به الأمور. ولا حلال ولا حرام. وإنما كل أمر مباح من قتل نفس أو ظلم إنسان أو أكل مال حرام. أو استعباد نفس أو إذلال للخلق. فلا عجب أن ظهرت الطبقية العرقية المتمثلة في السادة والعبيد والأشراف والسوقة. والطبقية الاقتصادية المتمثلة في الربا وأكل أموال الناس بالباطل. واستغلال حاجة الآخرين للإثراء غير المشروع. والطبقية الدينية بحيث يصبح الدين وفهمه احتكاراً على طبقة معينة وناس مخصوصين يستغلون جهل الناس ويطلبون منهم أن يعبدوهم ويطلبون منهم تقديم النذور والقرابين لهم ولما يمثلون.

وأخذ الكفر يقاتل عن مواقعه بشراسة حتى اضطر المسلمون الى الهجرة مرتين فراراً بدينهم وحرصاً على عقيدتهم ، وحتى يأذن الله بالفرج.

وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في مكة يقارع قومه الحجة ، يبين باطل ماهم فيه وما عليه حياتهم ، ولكنهم أصابهم الكبر ولحق بهم العناد وكان الله قد هيأ له زوجة صالحة تعتني بأمره وتدعمه بمالها ، وتخفف عنه قسوة عناد قومه ، وجهل عشيرته. وهيأ له كذلك عمه أبا طالب يحميه ، ويمنعهم من قتله ، وإن لم يمنع عنه ما دون القتل من الأذى ، وهم مع هذا يحسبون حساب عمه.

ثم إن خديجة رضي الله عنها ، وأبا طالب ماتا في عام واحد قبل هجرته بثلاث سنين فعظمت المصيبة على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بموتهما وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت ابي طالب الى ما لم يكونوا يصلون اليه في حياته منه حتى نثروا التراب على رأسه فقامت اليه إبنته فاطمة الزهراء ، رضي الله عنها ، تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : «يابنية لا تبكي فإن الله مانع أباك» (رواه الطبري).

ولما استعصت قريش ، وصمت آذانها ، وأغلقت قلوبها وعقولها ، اتجه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الى الطائف. فلما وصلها عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم ثلاثة إخوة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير. فردوه رداً غير جميل. فقال أحدهم : «هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله

قد أرسلك» ، وقال الآخر: «أما وجد الله أحداً يرسله غيرك» ، وقال الثالث : «والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك» .

فقام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ، فيما ذكره شيخ المؤرخين المسلمين الطبري : «إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني» وكره رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فلما أطمأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أخذ يناجي ربه مناجاة الصابر المحتسب يطلب منه المدد والعون حيث قومه لا يستجيبون للنور ولا يلتقون على الخير ، والطائف كانت أسوأ من مكة ، وأقسى من قريش . فأخذ يقول ، كما يروي اطبري : «اللهم إني اشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ، الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» .

تكريم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بحادثة الإسراء

في هذا الجو القاتم الشرس كان الله بنبيه رؤوفاً رحيماً ، وكانت حادثة الإسراء من مكة الى القدس ، وكان المعراج من أرض المسجد الأقصى الى السموات العلا ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. وكان في الإسراء أكثر من معنى ، وأثره لا يزال على مر الأيام وكر السنين يفعل.

يكرم الله نبيه على صبره ويجازيه الجزاء الأوفى على تحمله فيستدعيه اليه ويقربه منه ، ويرفعه الى درجة لم يصلها أحد من خلقه حتى ولا الملائكة المقربون. ويقدم له أرض الشام ، أرض فلسطين ، أرض القدس ، أرض المسجد الأقصى ، هدية إيمان وجائزة رضوان فيفتح النبي أرض الشام ، ومنها أرض فلسطين فتحاً مادياً بجسده الشريف. ويعلن الله للدنيا في ذلك الحين ، وللدنيا في كل حين أن المسجد الأقصى أصبح مسجداً للمسلمين ، فيصلي فيه النبي الصلاة الإسلامية الأولى إماماً للأنبياء المرسلين ، حيث أحياهم الله له ، ويصلي الصلاة الثانية بعده عمر وأبو عبيدة ، وكبار الصحابة والجنود المؤمنون يوم دخل عمر القدسَ ، واستلمها من بطريركها صفرونيوس وأعطاه العهدة العمرية التي تنص فيما نصت عليه : «أن لا يسكن إيلياء (القدس) أحد من اللصوص واليهود». وذلك أن كبار أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كانوا على علم منه لا يعلمه بقية الناس. وهذا النص في الوثيقة يدل على مبلغ فهم عِمر لخطر اليهود على هذه الارض.

قدسية المسجد الأقصى المبارك

وسورة الإسراء تتحدث عن المسجد الأقصى وإسراء النبي اليه فتقول : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا». وقد بنى المسجد الأقصى بعد الكعبة بأربعين سنة كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : «سألت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن أول مسجد وضع في الأرض. قال : المسجد الحرام، قلت ثم أي؟، قال : المسجد الأقصى. قلت كم بينهما؟ قال : أربعون سنة، ثم الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل». فعاد للمسجد الأقصى بالإسراء قدسيته وطهره حيث كان المسجد خراباً يباباً لا يصلي فيه أحد الى أن جاء النبي، صلى الله عليه وسلم، فتقررت مسجديته في القرآن واستلمه عمر فكان ينظفه هو وأصحابه من النجاسة وطهروه وأصبح من يومها منارة علم ودار إيمان ومحجة زوار ومحراب صلاة.

اذن سورة الإسراء قد خلدت علاقة المسلمين بالمسجد، وأن المسجد للمسلمين حيث أسرى بنبيهم اليه، وتقرر السورة بركة أرض الشام، ومنها أرض فلسطين، وتبدأ بعد ذلك في الحديث عن الفساد والعلو لليهود والتدمير الذي سيلحق بهم، وأنهم سينازعون المسلمين أرض الإسراء والمسجد الأقصى.

الإفساد الأول

لا بد أن نقرر هنا أن علماء التفسير اختلفوا اختلافاً كبيراً في مَنْ دَمَّر

(العلوَّيْن) والإفسادَيْن اللذين اشارت اليهما الآية الكريمة وهي قوله تعالى : «وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب : لتفسدنّ في الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً» (٤ : الإسراء). فقال قوم : هم أهل بابل ، وكان عليهم بختنصر. قاله إبن عباس ، رضي الله عنهما. وقال قتادة : أرسل عليهم جالوت فقتلهم فهو وقومه أولو بأس شديد. وقال مجاهد : جاءهم جند من فارس يتجسسون أخبارهم ومعهم بختنصر. وقال محمد بن إسحق : إنه سنحاريب ملك بابل. وقيل : إنهم العمالقة ، الى غير ذلك من الأقوال المتضاربة. ونحن حين ننظر إلى الآيات نظرة موضوعية نجد الأشياء الآتية :

أولاً : الآيات مكية وتتحدث عن علوين وإفسادين لليهود ، فهل مضى هذان العلوان قبل نزول الآية أم أنهما آتيان؟

مما لا شك فيه أن اليهود دُمِّروا أكثر من مرة قبل الإسلام ، وقبل نزول الآيات. فقد سباهم البابليون ، ودمرهم الرومان ، وذلك أن منذ أن غضب الله عليهم ، نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على الله وأنبيائه ، جعلهم يتصرفون تصرفاً يلجئُ البشرية إلى إذلالهم وضربهم. يقول الله تعالى في سورة البقرة (الآية ٦١): **«وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»**. ثم تقرر آية أخرى في سورة أخرى أن العذاب سيستمر في اليهود والتدمير لهم إلى يوم القيامة : **«وإذ تأذّن ربك ليبعثنّ عليهم الى يوم القيامة مَنْ يسومهم سوء العذاب»** (١٦٧ : الأعراف).

إذن لا غرابة أن يكون إفساد اليهود وعلوهم ثم تدميرهم أكثر من مرة قبل الإسلام، ولا غرابة أن يكون كذلك علو وفساد بعد الإسلام مرة أو أكثر ثم تدميرهم.

وليس هناك ما يمنع ان يكون الفساد والعلو ثم التدمير لمرتين بعد نزول الآيات. والواقع أن المتعمق في الآيات يجد أن المرتين اللتين أشارت اليهما آيات الإسراء في علو اليهود وإفسادهم ثم تدميرهم هما بعد نزول آيات الإسراء.

وذلك أن الله يقول: «**وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيراً. فاذا جاء وعد أولاهما**». واللام في «لتفسدن» لام الاستقبال والتوكيد. واللام في «ولتعلنّ»، كذلك، لام الاستقبال والتوكيد. والملاحظ انه عبر عن فسادَين ولكنه وصف أحد العلوّين بأنه «كبير». و «إذا» أداة ظرفية تدل على أن الأمر سيقع في المستقبل، ولا علاقة لما بعدها بما قبلها، فوجود كلمة «إذا» في الآية تدل على ان الفساد والعلو ثم التدمير الأول آت وأنه لم يمر. كما أن استعمال «اذا» للمرة الثانية يدل على أنها آتية لم تمر، كذلك. ثم يقول الله تعالى (٥ : الإسراء) «**بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار**»، أي أن الذين سيتولون تدمير اليهود هم من المؤمنين، إذ أن الله سبحانه وتعالى حين يضيف كلمة «العباد» لذاته تكون في موضع التشريف، ويخص بها المؤمنين، كقوله تعالى (٦٣ : الفرقان) : «**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً**» و «**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**» (٥٣: الزمر)، و «**سبحان الذي أسرى بعبده**» (١ : الإسراء). وأعظم

منزلة للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه «عبدالله ورسوله». وفي التحيات نقول : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

وهذا التشريف والتكريم الإيماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان لأنهم* جميعاً من الوثنيين. وينطبق هذا الوصف على رسول الله وأصحابه الذين جاءوا الى المدينة ولليهود فيها نفوذ سياسي واقتصادي ، وكان من أول أعماله ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة إبرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود والتي نصت على أن اليهود جماعة مستقلة ، وأن المسلمين جماعة مستقلة. فلما غدر اليهود ونقضوا العهد كعادتهم ودأبهم سلّط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيها وأزالوهم عن المدينة وخيبر وتيماء ، فزال سلطانهم وتم تدمير علوهم من خلال معارك بني قريظة وبني النضير ومعارك خيبر الشهيرة. وتأتي سورة الحشر لتؤكد هذا المعنى في قوله تعالى في وصف معارك المسلمين مع اليهود في المدينة (٢ : الحشر) : **«هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يُخربون بيوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا ياأولي الأبصار».**

الإفساد الثاني

التدمير الأول كان إخراج اليهود من الحجاز. فخرج قسم منهم إلى (أذرعات) من أرض الشام حتى تبدأ المرة الثانية من علوهم وفسادهم.

ويقول الله تعالى (٥ : الإسراء) : **«وكان وعداً مفعولاً»** ، يعني أنه تم تدمير العلو الأول في عهد النبي ، والوحي ينزل ، وأتمه أصحابه من بعده. وتبدأ الآيات بعد ذلك تتحدث عن المرة الثانية في العلو والفساد ، فتخبر الآيات أن الله سبحانه وتعالى سيجعل لليهود الكرة عليهم. على من؟ على الذين جاسوا خلال الديار أول مرة ، «والكرة» الدولة والسلطة. وحين أراد الله لليهود أن يكروا استعمل كلمة «ثم». وثم ، كما هو معروف ، معناها العطف مع التراخي والمهلة. فهل كر اليهود في التاريخ على البابليين ، وكانت لهم دولة وسلطة عليهم؟ لم يحدث ذلك في التاريخ ، ولن يحدث الآن ولا في المستقبل ، حيث أن البابليين قد انقرضوا من الدنيا كأمة ، وليس لهم مكان يعرفون فيه أو دولة يعيشون فيها. وحاشا الله أن لا يصدق القرآن أو يكون خبره غير محقق. إذن لابد أن تكون الكرة على أبناء من جاسوا خلال الديار ، وهم المسلمون أو العرب المسلمون ، فقد كر اليهود على بلاد الشام وفلسطين منها. وهذا هو الذي قد حدث ونعيشه الآن ويعاني منه المسلمون كل المسلمين. واقرءوا معي بقية الآيات التي تمضي فتصف الواقع الذي نعيشه وتعيشه دولة اليهود : اذ بعد أن جعل الله الكرة لليهود علينا ، يقول الله تعالى لليهود : **«وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً»**. وهنا نسأل مرة أخرى ، هل أمد الله اليهود بأموال وبنين غير هذه المرة؟ لم نعرف أن ذلك قد حدث ، واليهود منذ أن غضب الله عليهم وهم في بلاء متصل وعذاب مستمر. فقبل الإسلام كان عذاب البابليين لهم والرومان. وبعد الإسلام أخرجهم المسلمون من الجزيرة ثم بدأت أوروبا تعذبهم في أسبانيا وفي بقية أقطارها حتى جاء المسلمون فأنقذوهم من الأسبان واستمر العذاب لهم حتى هذا القرن. ولقد عاش اليهود في ظل دولة الإسلام عبر القرون

آمنين مطمئنين. تحفظ لهم دماؤهم وأموالهم، ولكنهم لم يحفظوا الجميل.

وحتى نرى مبلغ صدق الآية، ونرى إعجازها بأعيننا نجد دولة اليهود اليوم تعيش على البنين الذين يأتونها من أطراف الأرض ليمدوها بالجند، وفي هذه الفترة من روسيا بالذات، وترى الأموال من دول الغرب تأتيها بمساعدات مذهلة حتى تستمر في عدوانها وطغيانها وجبروتها. ثم يقول الله سبحانه وتعالى: «**وجعلناكم أكثر نفيراً**» ولذلك فإن أكبر قوة عسكرية في الأرض تساند دوله اليهود في حال نفرتها وحربها.

إذن هذه هي المرة الثانية من العلو. فما بال الفساد؟ وحتى يتحقق الفساد فنرى اليهود في دولتهم يرتكبون أفظع الجرائم بحيث فاقوا كل أنواع العذاب التي عانوا منها في زعمهم أو عاناه غيرهم ولذلك يحذرهم الله فيقول لهم (٧ : الإسراء): «**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**». وهذا الإحسان دنيوي يجازون عليه في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى (٢٠٠ : البقرة): «**فمن الناس مَنْ يقول: ربنا آتنا في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق**». واليهود قد أساءوا فقتلوا النفس الإنسانية وعذبوها ويتّموا الأطفال، وسجنوا النساء، وهدموا البيوت، واعتصبوا الأرض، وأقاموا المستعمرات، وحرقوا الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩. والاقصى عند الله عظيم! ودنسوا مسجد الخليل عليه السلام، والخليل عند الله هو الخليل. وارتكبوا جريمة الجرائم في مسجد الخليل يوم أن عمدوا إلى كتاب الله فمزقوه وداسوه بالأقدام. وهم اليوم قد أخذوا لبنان غدراً وخيانة، وارتكبوا فيه ما لم يرتكبه أحد من البشر قبلهم هم والموارنة الذين هم أشد الناس عدواة للمؤمنين، والذين يرتكبون جرائمهم باسم الصليب – وهذا

حق، وباسم المسيح – والمسيح منهم براء... ولقد اعلنت في خطابي أمام جماهير المسلمين في عمان في يوم عيد الأضحى المبارك (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أن الموارنة لم يعودوا أهل ذمة في ديار المسلمين، وأنهم نقضوا العهد الذي أعطاه عمر رضي الله لنصارى بلاد الشام في «العهدة العمرية»، وبذلك تسبى نساؤهم وذراريهم كما فعلوا في المسلمات وأطفال المسلمين في مخيمي صبرا وشاتيلا.

وهنا تأتي عقوبة الله لهم على ما اقترفوه من الإثم والجرائم، بتفسير من الآيات، أن دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها. فيقول الله (٧: الإسراء): **«فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً»**. وهنا، حين يخبر الله عن زوال دولتهم، استعمل كلمة «الفاء» للعطف ولم يستعمل «ثم»، والفاء للعطف مع التعقيب. والتعقيب لكل شيْ بحسبه وما يناسبه، وهو يدل على السرعة في حصول المقصود. **«فاذا جاء وعد الآخرة»**، أي لذهاب علوهم الثاني، تصبح وجوه بني إسرائيل سيئة. ويبشرنا ربنا، جلت قدرته، أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وفي هذه الآية إشارة لطيفة الى دخولنا المسجد مرتين. والمرتان حدثتا بعد نزول الآية. المرة الأولى: الفتح العمري للمسجد حين دخله باسم الله والإسلام. والمرة الثانية هي هذه التي نحن على أبوابها، حيث سيدخل المسلمون المسجد فاتحين للمرة الثانية. ثم يقرر الله أننا سنتبر أي ندمر ونهلك علو اليهود المادي والمعنوي.

ومما تجدر الإشارة هنا أن فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق،

التي تصل إلى عشرين طابقا أو أقل أو أكثر، الا في ظل اغتصاب اليهود لها. ولذلك فان هذه العمارات الشاهقة التي يقيمونها في الأرض المباركة سيلحقها التدمير والخراب. ثم تمضي الآيات فتحذر اليهود من محاولة العودة للفساد والتعالي فيقول الله لهم (٨ : الإسراء) : **«وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً»**. وتأتينا البشرى من الله بعد أن يفهمنا ربنا ان القرآن يهدي الى الطريق السوي والحياة الصحيحة تأتينا البشرى بالنصر فيقول (٩ : الإسراء) : **«إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً عظيماً»**. وفي آخر سورة الإسراء آية أخرى تتعلق بهذا الأمر، وهي قوله تعالى : **«وقلنا من بعده لبني إسرائيل : أسكنوا الأرض، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً»** (الآية ١٠٤). و«لفيفاً» أي جماعات ملتفة (وهكذا يأتي اليهود مهاجرين إلى فلسطين). وفي بقية الآية إنذار لليهود وبشرى لنا. فيقول الله في سورة الإسراء (الآية ١٠٥) : **«وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً»**. فاذا ربطنا هذه الآيات وتفسيرها بالحديث الذي يدلنا على صدق النبوة، ومعجزة الرسول، صلى الله عليه وسلم، حين أخبرنا عن قتال اليهود فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم وهو قول الرسول، صلى الله عليه وسلم : **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر: يامسلم، ياعبدالله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فانه من شجر اليهود»**. والغرقد شجيرة صغيرة كثيفة الأغصان تزرع الآن في كل أنحاء فلسطين ولا يزال أهل (النقب) بفلسطين يسمونها «الغرقد»، ولها أسماء أخرى في بقية أنحاء فلسطين، ويزرعها اليهود بأيديهم.

وهذا هو السبب في أنه لم تنجح المحاولات لتثبيت دولة اليهود، وذلك انه منذ سنة ١٩٤٨، وكل محاولة للصلح وتثبيت دولة اليهود يفشلها اليهود أنفسهم وذلك لأن اليهود لا يعالجون أي أمر إلا بالحقد والتآمر والخديعة. ويقرر الله أن لا عقل عندهم فيقول: (في سورة الحشر الآية ١٣): **«لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر، بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون»**. وذلك كله يجري حتى يأتي اليوم الموعود يوم تتخلص المعركة من الأيديولوجيات المنافية للإسلام. وذلك أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد أخبر في حديث قتال اليهود أن الحجر والشجر سينطق ويقول: «يامسلم، ياعبدالله، خلفي يهودي فتعال فاقتله». إذن لن يكون قتال النصر في فلسطين قتالاً يمينياً ولا يسارياً، وإنما سيكون قتالاً إسلامياً في سبيل الله كما كان دائماً قتال النصر للمسلمين. ولذلك لا عجب أن لا ننتصر على اليهود حتى الآن لأننا لم نقاتل بالإسلام فلو انتصرت الأنظمة العربية لكُذّب القرآن لأنها أنظمة كافرة، تحكم بالربا وتبيح الزنا والخمر والميسر ولا تستعد لقتال عدوها، وقد ألغت الجهاد من حياتها وبرامجها، ويعيش الحكام جميعاً حياة غير إسلامية. وكان من المستحيل أن تنتصر الثورة الفلسطينية بوصفها الذي هي عليه لأنها لم تتخذ الإسلام طريقاً وأسلوباً ومنهجاً. والله يقول: «إن تنصروا الله ينصركم» (٧: محمد)، فما نصروا الله حتى يُنصروا.

الأرض المباركة

الآية السابقة الذكر في سورة الإسراء قد نصت على بركة الأرض التي تحيط بالمسجد الأقصى، وكذلك آيات أخرى نصت على هذه البركة مثل قوله تعالى في سورة الأنبياء (الآية ٧١) في حق الخليل إبراهيم عليه السلام: **«ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين»**. وقوله في سورة سبأ (الآية ١٨): **«وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرةً وقدّرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين»**. والبركة هي الزيادة في كل شيءٍ. وليست بركة هذه الأرض مادية كلها وإنما بركتها، بالإضافة الى الأشياء المادية، بركات معنوية تتمثل في أنها عش الأنبياء، ولذلك فكر أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في دفنه في بيت المقدس عند وفاته باعتبارها عش الأنبياء، وكانت لم تفتح بعد. وهي مهبط الوحي، وهي مسرى النبي ومعراجه، صلى الله عليه وسلم، منها وهي القبلة الأولى فقد صلى المسلمون الى مسجدها أربع سنوات ونيف، منها ثلاث سنوات في مكة حيث فرضت الصلاة في السنة العاشرة من البعثة، فأمر النبي والمسلمون معه أن يصلوا الى القدس وأن يجعلوا الكعبة بينهم وبين القدس وصلى سبعة عشر شهراً الى القدس في المدينة. ومسجدها تشد اليه الرحال، كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

ومن بركة هذه الأرض أنه حينما يبتعد المسلمون عن محور عزهم ومركز قوتهم، وهو الإسلام، يضعفون ويتمزقون وتكثر دولهم ودويلاتهم فيسهل

على العدو أن يتسرب من خلالهم فيأخذ الأرض المباركة ويأخذ المسجد الأقصى وعندها يتحرك المسلمون حركة حياة من جديد، وينفضون غبار الهزيمة فيعملون لاستخلاص هذه الأرض فعن طريق استخلاصها يتم توحيد الأمة.

ولذلك لن يصل أحد الى حل مع اليهود وأعوانهم حتى يأتي أمر الله ويتوحد المسلمون، ويعود الإسلام محركاً للحياة في ديار الإسلام وفي العالم كله.

وقد ظهرت بركة هذه الأرض في الحروب الصليبية إذ بعد أن أخذها الصليبيون وظنوا أن الأمر قد استقر لهم كانت حروبهم سبباً في توحيد المسلمين من جديد، فكان نور الدين زنكي الذي وحّد الأجزاء المبعثرة. وأخذ الراية منه صلاح الدين. فكانت حطين النصر المبين وكانت معركة القدس فيما بعد ودخلها رحمه الله فأعاد الأمن والأمان اليها وعاد مسجدها الى قدسيته وطهره.

رباط أهل الشام

وقد قدِّر لأهل الشام، وفلسطين منها، انهم مرابطون الى يوم القيامة حيث الكفار لا يتركون الأرض المباركة يستقر أهلها وهم يريدون إزالة مسجدها ليقيموا عليه الهيكل اليهودي.

روي الطبراني عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماءهم الى منتهى الجزيرة مرابطون فمن نزل

مدينة أو قرية من المدائن فهو في رباط ، أو ثغر من الثغور فهو في جهاد» .
وقدّر لأهل الشام ، كذلك ، أن ينتقم الله بهم من أعدائه . فعن خريم بن مالك : «إن أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ولا يؤتون إلا هما وغما» ، رواه الطبراني مرفوعاً وأحمد موقوفا ورجاله ثقات . وعن أبي الدرداء عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه سمعه يقول : «الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ» ، رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد . وقد روي أبو بكر بن شيبة عن أبي الزاهرية قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور» .

وعلى هذا فالأرض المباركة بركتها بالإضافة الى الأشياء المادية التي ذكرها المفسرون من الثمار والأشجار والأنهار والأرض المعطاء والسهل الخصيب والجبال العالية والأرض المنخفضة التي تجعلك تنتقل في ساعة أو أقل من مستوى سطح البحر الى العلو الشاهق الى الغور المنخفض ، فهناك البركة المعنوية والبركة المادية تتصاغر أمام البركة المعنوية ، وباركها الله فجعلها القبلة الأولى يصلي اليها المسلمون وأسرى بنبيه اليها وعرج به من مسجدها الى السموات العلى وجَعل مسجدها الأقصى تُشد اليه الرجال ، وهي عش الأنبياء . وهذا مما جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتي بنفسه لاستلام القدس ، ولم يذهب لاستلام المدائن ولا مصر ولا العراق رغم أنها بلاد هامة غنية .

«الوطن البديل»

حين يتحدث اليهود وأعوانهم عن «الوطن البديل» للفلسطينيين فهم يظنون أن أي أرض يمكن أن تستبدل بها الأرض المباركة ويظنون أن.الأمر أمر إسكات «لاجئين» أو استقرار مشردين.. وهم يتجاهلون أن هذه الأرض لا تدانيها أرض أخرى ولا يمكن أن يقوم مقامها وطن بديل في أي بقعة من بقاع الكرة الأرضية إذ أن هذه الأرض مرتبطة بعقيدة المسلمين، سجلت في كتابه الله بوصفها القبلة الأولى وبوصفها مسرى النبي ومعراج الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبوصفها الأرض المباركة، ولذلك فهي لا تخص الفلسطينيين وحدهم ولا تخص العرب وحدهم بل هي تخص المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا. وما دام كتاب الله القرآن موجوداً على الأرض يتلى وفي الأرض مؤمنون فليس هناك استقرار لدولة اليهود وهي في طريقها لأن تصبح من مخلفات التاريخ كما أصبحت دولة الصليبيين من قبلها من مخلفات التاريخ تؤلف الكتب عن أسباب زوالها ويكتب الباحثون أبحاثهم ويعطي العلماء آراءهم في ذلك. إنهم ينسون الحقيقة الأزلية وهي استحالة أن يملك هذه الأرض غير المسلمين وأن تبقى في حوزة أعدائهم طويلاً.

والواقع أن العالم كله لا يفقه القضية الفلسطينية أو القضية اليهودية بالأحرى. وانما كل فئة تنظر إلى القضية من زاوية معينة تتفق مع مصلحتها. وهذه النظرة بالنسبة لمصالحها صحيحة. فالغرب ينظر للقضية على انها امتداد للحروب الصليبية وأن اليهود أداة في يديه لتمزيق الوطن الإسلامي والسيطرة على بلاد المسلمين وتهديدهم حتى لا يفيقوا مرة أخرى

فيتصدوا لقيادة الدنيا وإنقاذها مما تعانيه. والشيوعية تنظر الى القضية على أن بقاء دولة اليهود في بلاد المسلمين أمر ضروري لإيجاد التناقض الطبقي حسب الفكر المادي ولذلك هي مع بقاء دولة اليهود، وتحارب الطبقة الحاكمة في إسرائيل حربا طبقية باعتبارها عميلة للغرب. ويهمها أن يبقى التناقض وعدم الاستقرار في المنطقة، لأن ذلك، حسب وجهة نظرها، يغذي الحركة الشيوعية وينميها.

وأهل البلاد الذين أُخرجوا من ديارهم (الفلسطينيون) ينظرون الى القضية من زاوية أنهم شعب ظلم وشرد وأُضطهد، فهم يريدون حيا الاستقرار في الأرض التي ولدوا فيها أو نبت آباؤهم فيها أو دفن أجدادهم في ترابها فهم يحنون بفطرتهم اليها ولا يريدون في الدنيا أرضا تكون بديلا لها وهذا صحيح. ولكن هذه النظرات المختلفة للقضية من زواياها المختلفة ليست هي القضية. وانما القضية تتعلق باليهود أو بغضب الله على اليهود. المستمر عبر التاريخ بالعذاب الواقع بهم نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على الإنسانية.

حتمية زوال دولة اسرائيل

لقد حاول العالم منذ ١٩٤٨ والقوى الكبرى في العالم أو الغرب على وجه التخصيص – أن يثبِّت إسرائيل دولةً قوية فوضع الحلول وحاك المؤامرات. ولكن المؤامرات تفشل والطبخات تحترق، وذلك بفضل الله وبمعاونة اليهود أنفسهم حيث يرفضون كل ما يعرض عليهم حتى يأتي يومهم الموعود وقدرهم المرصود فتزول دولتهم بآثامها وشرورها. وإن الغرب اليو

يحاول جاهداً لإنقاذ دولة اليهود من مصيرها المحتوم وقدرها المرسوم رغم أنفها، ولكن اليهود يتمردون على من أوجدهم، ذلك بانهم قوم لا يعقلون وصدق الله إذ يقول في حقهم (١٤ : الحشر) : «**لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر، بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**».

فإذا تأملنا هذه الآيات في ضوء حديث البخاري ومسلم - الذي يقول فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، أنه لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون - علمنا المصير الذي ينتظر دولة اليهود.

حتمية زوال إسرائيل في ضوء آيات المائدة

كان الله قد شتت اليهود في الأرض بعد موسى عليه السلام، ولم يحدث لهم تجمع ولا سلطة يعتد بها إلا حين تجمعوا في أرض الجزيرة العربية، في أرض الحجاز، وكانوا يعلمون من كتبهم، وأخبار أنبيائهم أن النبي الأخير سيخرج من جزيرة العرب. فرحلوا اليها قبل البعثة بفترة طويلة علّ هذا النبي يكون من بينهم ولقد نمت قوتهم في هذه الفترة اقتصادياً، فكانت التجارة والزراعة في المدينة وما حولها وفي خيبر وتيماء بأيديهم، وكانوا يكونون مجتمعاً مستقلاً بدليل أن النبي، صلى الله عليه وسلم، عندما وصل الى المدينة وكوّن نواة الدولة الاسلامية الأولى، عقد مع اليهود معاهدة سياسية، حدد فيها العلاقات بين الطرفين وكيفية التعاون.

فلما نقض اليهود العهد والميثاق، كدأبهم. وتآمروا على النبي وعلى المسلمين وعلى الدولة الجديدة، اضطر الى محاربتهم وهدم علوهم واستئصال فسادهم في الجزيرة العربية كلها. وهكذا كان.

وأما المرة الثانية من العلو والفساد والتدمير فهذه التي نعيشها الآن وقد بينت ذلك مفصلاً في تفسير الإسراء في الصفحات الماضية.

عداء النصارى

بقي اليهود بعد التدمير الأول متفرقين في الأرض، يعيشون في كنف الشعوب والأمم، وأصبح لهم في كل مدينة كبيرة في العالم حي منغلق يعرف باسمهم (غيتو). وكانت وسيلتهم في مدّ نفوذهم هي الربا والاحتكار والغش والقمار ونشر الفساد والزنا. إذ أن «اليهودي» في عقيدتهم ليس من كان أبوه يهودياً بل من كانت أمه يهودية. وهذه العقيدة اليوم تثير مشاكل في زعزعة دولة اليهود. إذ أن الكثير ممن ضحوا في سبيل كيان (دولة إسرائيل) وتزوجوا غير يهوديات، لا يصح لأبنائهم ان ينالوا (شرف) الانتماء الى اليهود. أما من كانت أمه يهودية فينال (شرف) الانتساب الى اليهود بقطع النظر عن الأب من أي جنس أو دين أو لون كان.

وهكذا عاش اليهود يفسدون في الأرض، وقد سبّب ذلك لهم أن الشعوب أخذت تضطهدهم وخصوصاً شعوب النصارى التي كانت توجَّه بالقيادات الكنسية المختلفة، وكانت معاداة النصارى لليهود معاداة مبنية على العقيدة لدى الطرفين. فالمسيح الموعود في عقيدة اليهود لم يأت بعد، وهم لا يعترفون بالمسيح عليه السلام. بل اتهموا مريم عليها السلام، بالزنا مع

يوسف النجار ، وافتروا أن عيسى عليه السلام هو ابن ليوسف النجار . وأما مسيحهم الموعود فهم ينتظرونه حتى اليوم ، مما جعل اليهود في عهد عيسى عليه السلام ، وقد أرسل اليهم ، يتآمرون عليه ويوشون به لدى السلطة التي حاولت أن تلقي القبض عليه وتصلبه ، ولكن الذي حدث أن الذي وشى بالمسيح عليه السلام هو يهوذا الأسخريوطي ، وكان يشبه المسيح ، عليه السلام ، هو الذي تم القبض عليه وهو الذي عذب وصلب .

ويسجل الله هذه الحادثة في القرآن الكريم ويبين الله أسباب غضبه على اليهود فيقول تعالى في سورة النساء (الآيات ١٥٥ - ١٥٩) : «**فبما نقضهم ميثاقَهم وكفرهم بآيات الله . وقتلهم الأنبياء بغير حق . وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم . وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه . ما لهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً . وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا**» .

إذن في عقيدة النصارى أن اليهود قد صلبوا المسيح ، وجاءت آيات في الأناجيل الموجودة بين يدي النصاري حالياً تحمِّل اليهود دم المسيح وأن اللعنة تلحقهم الى يوم القيامة . ومن هنا تركزت العداوة بين اليهود والنصارى ، عبر التاريخ .

واليهود لا يعترفون بالمسيح عليه السلام ، والنصارى اتهمتهم بقتله وصلبه ، ولما كان النصارى هم أصحاب السلطات في الغرب ، أوروبا

وامريكا، فعمدوا الى اليهود فاضطهدوهم وعذبوهم وقتلوهم. فلم تبق دولة أوروبية الا واضطهدت اليهود باسم المسيحية.

في انجلترا، في فرنسا، في المانيا، في ايطاليا، كانت تسن القوانين لاضطهاد اليهود وتضييق الخناق عليهم بحيث تكون حياتهم قاسية مريرة. وكان اليهود يردون على هذه القوانين باساليبهم الخاصة، وبتخريب اقتصاد تلك الدول بالدس والخديعة وتخريب الأخلاق وإشعال الحروب.

يقول الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة في كتابه (اليهود بين الدين والتاريخ):

«مهما اختلف الرأي حول البواعث الحقيقية لعمليات الطرد والتعذيب التي كان يلقاها اليهود في أوزوبا تضييقاً واضهاداً من قبل مسيحيي أوروبا، فإنه حدث، وخاصة في عامي ١٣٤٨ و ١٣٤٩م، أن قام المسيحيون بموجة من الاضطهاد لليهود. كان فيها المسيحيون يتخذون من قتل اليهود وسيلة للتقرب الى الله الذي يكرههم ويمقتهم. وكلما كان اليهود يبذلون جهودهم لمقاومة موجات الاضطهاد الأوروبي، فان موقف الشعوب الأوروبية بمختلف اتجاهاتها كانت ترى التخلص من اليهود تحرراً من الخطر الرابض وسط التناقض الأوروبي والمخطط له من قبل اليهود لاستبقائه وتعميق أسبابه».

وإني أقدم أمثلة لما قامت دول أوروبا المسيحية من عذاب لليهود على مر التاريخ.

ألمانيا تضطهد اليهود

لقد حدث في أغسطس سنة ١٤٠١م أن أصدر الملك روبرشت (١٤٠٠م - ١٤١٠م) قراراً بطرد جميع اليهود من اقليمي الراين وبافاريا. كما حرص على وجوب ارتداء اليهود ملابسهم الخاصة التي سبق أن ابتدعها عام ١٢١٠م البابا اينوسينت الثالث. ومن ثم اخذت هذه العادة تنتشر في كثير من الدول الأوروبية.

وظل اليهود عرضة للتقتيل والحرمان والتشريد حتى جاء فريدريك الثالث (١٤٧٠ - ١٤٩٣) فشعر بعبء الضائقة المالية التي تعانيها البلاد بسبب القيود التي فرضتها الكنيسة و سحاب الجاه من الإقطاعيين على الأهالي. سواء أكانوا مسيحيين أم يهودا. فتدخل القيصر وأعلن حمايته لليهود. لكن حدث أن وجد طفل لم يتجاوز الثانية من عمره مقتولاً في ترنيت بإيطاليا. عام ١٤٤٥م. واتهم المسيحيون اليهودَ بقتله. وانتشرت المذابح هنا وهناك ومنها انتقلت الى مدينة نورنبرغ الالمانية حيث تعرض يهودها لكثير من الأعمال الوحشية عام ١٤٧٦.

وحدث أن مجلس مدينة نورنبرغ تقدم برجاء عام ١٤٧٣ الى القيصر فريدريك الثالث بطرد جميع اليهود من المدينة. فأهمل القيصر هذا الرجاء حتى جاء القيصر ماكميلان الأول (١٤٩٣ - ١٥١٩م) وأصدر في يوليو عام ١٤٩٨ قرارا بإجابة هذه الرغبة وطرد اليهود نساء ورجالا من المدينة.

ولم يقف طرد اليهود وإجلاؤهم عند هذا الحد، بل أخذت المدن الأخرى الى التسابق للتخلص منهم.. وحدث عام ١٥٠٩ أن شخصاً يدعى يوحنا كورون (كان في الأصل جزاراً يهودياً ثم ترك اليهودية الى المسيحية)

تقدم الى القيصر ماكميلان ورجاه مصادرة جميع الكتب اليهودية وإتلاف تلك التي جاءت فيها إساءة للمسيحية. وحاول يوحنا هذا كسب العالم الانساني رويشلين الى صفه إلا أن رويشلن هذا رفض التعاون رغبة في الإبقاء على الكتب اليهودية فسبب موقفه هذا خصومة حادة مع جماعة الدومينيكان في كولونيا (وكانوا متعاونين مع يوحنا) فأخذوا يكيدون للعالم رويشلين، ويقاومون الرغبة التي دعت الى تعلم اللغة العبرية وتوجه رويشلين الى دراسة المؤلفات العبرية من الناحية اللغوية. وقد انتصر اليهود في هذه المعركة العلمية الأدبية حتى أن البابا ليو العاشر سمح للطباع المسيحي دانيال رونتبرغ بطبع الطبعة الأولى للتلمود، الا أن رويشلين، بالرغم من هذا التوفيق، كان قد أصبح في موقف حرج جداً بسبب كيد الدومينيكان ودسائسهم مما اضطره الى طلب المساعدة ووساطة اليهودي يونس فوده الطبيب الخاص للبابا بالتدخل في سبيل فض هذه الخصومة.

ولم يقف رويشلين وحيداً في هذه الخصومة بل سانده المصلح البروتستانتي مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م)، وخاصة من الناحية اللاهوتية، فاليهودي في رأي لوثر يجب أن يعتنق المسيحية لأنه أخ للمسيح وأن المسيح يهودي.. الا أن أمل لوثر في تنصير اليهود قد تلاشى فخاصم اليهودية لموقفها من التعاليم المسيحية اللاهوتية. وقد أثر موقف لوثر هذا من اليهود واليهودية على وضع اليهود في أوروبا وإشعال روح العداوة ضدهم حتى عصرنا الحالي، إذ كان رأي لوثر هذا من العوامل الهامة التي امتزجت بنظرية التفرقة الجنسية النازية فاصبح اليهود إبان الحكم النازي (١٩٣٣ - ١٩٤٥) هدفاً لمختلف انواع التعذيب والقتل نتيجة لتآمرهم على ألمانيا ومحاولة تخريبها.

انكلترا تضطهد اليهود

وحظ اليهود في بلاد الانجليز البروتستانتية لم يكن أحسن حالاً منه في البلاد الكاثوليكية وخاصة في القرن السادس عشر ففي سكسونيا وقع أول اضطهاد بروتستانتي على اليهود وكان ذلك عام ١٥٣٦ ، حيث طرد أمير الاقليم يوحنا فردريك اليهود من إقليمه. وفي عام ١٥٣٩ سمح لهم بعبور سكسونيا فقط ثم ألغي هذا الأذن عام ١٥٤٣ ، وقد استند الأمير في إقراراته هذه على تعاليم مارتن لوثر.

ولقد كان اليهود يعملون ضد المسيحية في أوروبا . وكانوا يرجعون كل تصرف لهم وكل سلوك غير طبيعي تصطدم به مصالح المجتمع الذي يعيشون فيه ، الى خصائص الجنس اليهودي وتعاليم الدين اليهودي وإرادة الإله لهم بان يكونوا سادة على (الأمميين) ولا سيادة لأحد عليهم.. ومن هنا كان لابد للفكر المسيحي الأوروبي من أن يقوم بعملية مجابهة سريعة أمام خطر سيطرة اليهود. وبدأ كثير من المفكرين الأوروبيين الذين استطاعوا ان يروا مدى ما يتعرض له المسيحيون في اوروبا ، وكذلك المعتقد المسيحي بآدابه وتعاليمه ، من خطر السيطرة اليهودية والمسخ التعصبي فقاموا يكشفون عن كل الظروف والميادين التي عملت على إتاحة الفرص لكي يعبر اليهودي عن مطامعه ونزعاته وتعلقه بأساليب المضايقة وتقديم الربا الفاحش ثم سيطرته على حركة التطور الصناعي ، وإدارة الأعمال. وكانت الصفوة من مفكري أوروبا ومؤرخيهم ، التي هبت تحاصر الخطر اليهودي ، هي تلك المجموعة من المفكرين التي قامت من فرنسا وألمانيا ثم استطاعت أن تؤثر بفكرها المستنير في كشف النقاب عن الخطر اليهودي أمام باقي شعوب أوروبا .

فرنسا تضطهد اليهود

وفي بعض مراحل القرن الثامن عشر والتاسع عشر أدى المفكرون الأوروبيون دوراً نضالياً ضد السيطرة اليهودية على كل جوانب الحياة الأوروبية. ففي سنة ١٨٤٥ ألف توسينال كتاباً عنوانه «اليهود ملوك العصر، تاريخ الاقطاع المالي». وقد بيّن هذا الكتاب ما ظهر من فضائح مالية واستغلال أناني للمالية الفرنسية في ذلك الوقت وما كان لليهود في ذلك من دور كبير، وكيف أن اليهود يقابلون بالازدراء قوانين العدل وحقوق العاملين وذلك بما أخذ به اليهود من افكار التلمود من جواز استغلال غير اليهود. ونشر الكاتب الفرنسي الكونت غوبينو Gobineau في سنة ١٨٥٤ بحثاً عنوانه «المساواة بين الأجناس البشرية» *Essai Sur l'inégalité des races humaines* بين فيه الفرق بين الجنسين الآري والسامي، وقصد به أن يهاجم نشاط اليهود السياسي كما هاجم توسينال نشاطهم الاقتصادي المدمر. ثم جاء كاتب ثالث فرنسي فكتب سنة ١٨٦٩ كتاباً عنوانه (اليهودي واليهودية وتهديد الشعوب المسيحية). وصاحب هذا الكتاب، هو جينيوده موسو، رجل من رجال الدين. وقد حاول أن يبين خطر اليهود في ميدان الدين والثقافة. وقد أكد في كتابه أن اليهود لا يقيمون وزناً ولا يؤمنون بصحة ما يلتزمون به نحو غير اليهود من قسم أو يمين، كما أن مصدر خطرهم يكمن في محاولتهم القضاء على الروحية في العالم المتدين وتفضيلهم المادة على الروح. وقد دفع هذا النشاط الأوروبيين الى أن يبحثوا عن المؤلفات التي

تساعدهم على فهم اليهود فأخذوا يقرأون كتابات العالم الألماني ايزمنجز التي كتبها في القرن الثامن عشر عن تعاليم التلمود المعادية للبشر كما أخذوا يقرأون كتابات اليهود الذين تنصروا وفيها يكشفون النزعات الهدامة لبعض التعاليم اليهودية خاصة كتابات الأب جوسف يمان.

إذن اشتركت دول أوروبا جميعها في التعرض للخطر اليهودي الهدام. وفي مجتمع القرن التاسع عشر نرى أن رد الفعل يكاد يكون متشابهاً. بل إنه أخذ يتبلور حتى رأيناه ينفجر في حركات شعبية ضد اليهود في ألمانيا وفرنسا والنمسا والمجر وبولندا ورومانيا وروسيا في أواخر القرن الماضي.

ففي ألمانيا نشر (فيلهلم مار) Marr وهو صحفي في هامبورغ، سنة ١٨٧٣ رسالة صغيرة عنوانها (انتصار اليهودية على الجرمانية). وقد لاحظ (مار) أن هذا الانتصار اقتصادي في مظاهره الا أنه وجد أن اختلاف اليهود في الجنس هو الذي دفعهم الى هذا الانتصار بوسائل مالية ضالة منحرفة، ورأى أن هذا السلوك يستتبع محاربة اليهود وسلوكهم التخريبي. ولا شك في أن (مار) قد اعتمد في نظريته العنصرية على نظرية جرينو، الفيلسوف السياسي الفرنسي. وقد هيأت الظروف سلسلة من الفضائح المالية في ألمانيا اشترك فيها يهود لجأوا لاستعمال هذا العداء العنصري، حتى لقد أخذ به بسمارك في برنامجه السياسي سنة ١٨٧٩ خاصة وانه وجد خصومة عنيفة لسياسته الجمركية من حزب الأحرار الذي كان يتزعمه اليهوديان لاسكر وبامبرغر.

وسار بعد ذلك في ألمانيا العداء بين المسيحيين واليهود في عالم الفكر والسياسة جنباً الى جنب.. ففيلسوف ألمانيا السياسي (تريتشكه) Treitchke اخترع نظرية التعارض بين الآرية واليهودية ونشرها من كرسيه في جامعة برلين وأوجد الجملة التي ذهبت مثلاً بين الألمان: (إن اليهود بلاؤنا)، كما ساهم الفيلسوف (نتشه) في حركة احتقار اليهود في ألمانيا. ولكن المرجع الكلاسيكي عن نبذ اليهود كجنس يتمثل في كتاب «أسس القرن التاسع عشر» *Foundations of the 19th Century* الذي كتبه عالم ألماني من مولد إنجليزي هو هوستون ستيوارت تشامبرلن سنة ١٨٩٨. وقد حل هذا الكتاب مرجعاً الى أن أخذ مكانه كتاب «كفاحي» الذي ألفه هتلر دستوراً للحركة النازية.

ولم تكن هذه المؤلفات الفكرية عن السياسة الأوروبية لمناهضة اليهود وأثرهم المفسد في الحضارة الصناعية البرجوازية، أثناء القرن التاسع عشر الا ينابيع لحركات المقاومة ضد اليهود في أوروبا سواء كانت حزبية أو شعبية، فقد أصبحت مراجع لتبرير التكتل الأوروبي ضد الخطر اليهودي. وتنقلت الأفكار الأساسية عن ذلك الخطر على الجنس والسياسة والاقتصاد والدين بين دول أوروبا على مختلف أنظمتها الاجتماعية.

وقد التقى فكر الإنجيل الذي يحمِّل اليهودَ «اللعنة» الى يوم القيامة بوصفهم (قتلة المسيح)، حسب زعمهم، مع التجربة العادية التي كان يحسها المواطن العادي في علاقته اليومية مع اليهود، ولذلك تُرجمت هذه الأفكار العدائية الى منظمات سياسية. ففي ألمانيا تكونت عصبة محاربة

السامية تحت زعامة القسيس اللوثري أدولف شتوكر الذي أسس اتحاد العمال الاشتراكي المسيحي . وقد زاد الحركة بعض اليهود لهيباً وانتشاراً بين جماهير الشعب ان ظهر زعيم شعبي في شخص هيرمان الفرت الذي استطاع في سنة ١٨٩١ ان يرفع قضية قتل بعض اليهود من أجل طقوسهم الدينية . وقد ادت هذه القضية الى زيادة النقمة والبغض على اليهود .

ولم تتخلف فرنسا عن ركب المحاربين لنفوذ اليهود الذي امتد الى جميع الميادين من سياسية واقتصادية واجتماعية . فحين تألمت برلين من سلوك اليهود تألمت براغ ، وفيينا وكذلك باريس من سلوكهم . وإن كان الفرنسيون قد وضعوا أصبع أوروبا الحديثة على الداء الجديد بما أفهمهم كتابهم عن خطر اليهود . فكان ادوارد ريمون الصحفي الباريسي البارع الاسلوب زعيم الكتاب الفرنسيين في هذا المجال اثناء العشرين عاماً الأخيرة من القرن التاسع عشر إذ ألف كتاب «فرنسا اليهودية» الذي تدفقت من نسخه عشرات الآلاف كل شهر من مطابع باريس وتلقفته الأذهان تلقفاً نادر المثال ، كما أنه أسس صحيفة «القول الحر» في سنة ١٨٩٢ فاستطاع بكتابه وصحيفته أن يقدم غذاءاً حياً مثيراً لحملة سياسية قوية ضد اليهود ، عدو أوروبا المشترك .

النمسا والمجر تضطهد اليهود

تعاون الفكر والسياسة في محاربة اليهود في ألمانيا ، وفي الامبراطورية النمساوية المجرية ، ففي المجر كان للقسيس الكاثوليكي روتبخ أعمق الأثر في

إزاحة الستار عما تشمل عليه تعالم اليهود القديمة خاصة ما جاء فيها بالتلمود من دعوة الى تدمير غير اليهود. وقد ضمن هذه الأفكار كتابه «يهود التلمود» الذي نشره عام ١٨٧١.

وما أن عين استاذاً للديانة الكاثوليكية في جامعة براغ حتى انتشر ذكره وعمق أثره وتجاوبت تعاليمه مع الحركة السياسية المعادية لليهود في براغ. ولم يكن القسم النمساوي من الإمبراطورية بأهدأ حالاً من الناحية السياسية، اذ تيقظ الوطنيون في ڤيينا لما يمثله اليهود في حياة الإمبراطورية من عوامل الفساد والاستغلال، فوضعوا أسس الحركة المعادية لليهود، وكان من أبرز قواها الدكتور لوجز الذي بارك البابا حزبه سنة ١٨٩٥، والذي انتخب محافظاً لمدينة ڤيينا في العام نفسه، ولكن الإمبراطور قاوم انتخابه بأن رفض تعيينه في منصبه ولم يوافق على ذلك الا بعد أن أعيد انتخابه أربع مرات.

وإصرار أهل ڤيينا على انتخاب الدكتور لوجز رغم معارضة الامبراطور دليل القوة التي بلغها بين الشعب الزعماء الذين استهدفوا محاربة اليهود.

وجاءت الفضائح السياسية والمالية التي اشترك فيها ثلاثة من مشاهير اليهود المضاربين تؤكد بالعمل على ما ينادي به أمثال هؤلاء الزعماء. وجاءت قضية الضابط اليهودي (درايفوس) الذي أتهم بأنه تآمر مع الألمان ونقل أسراراً حربية فرنسية الى قيادتهم، وقد أخذت هذه القضية دوراً كبيراً في فرنسا وازداد حقد النصارى على اليهود.

أوروبا الشرقية تضطهد اليهود

ولما كانت أوروبا تسيطر عليها النصرانية ، التي تلعن اليهود ، في دولها الغربية والشرقية ، فقد وجدت صورة مشابهة لعداء اليهود في الغرب في دول أوروبا الشرقية . ففي رومانيا كان اليهود يعملون كوسطاء ووكلاء للنبلاء الأرستقراطيين . وقد زاد من أهميتهم أن الطبقة الوسطى كانت شبه معدومة ، وكان الفلاحون في حالة من البساطة والسذاجة مكنت من استغلالهم بواسطة اليهود ، فكرههم شعب رومانيا كرهاً عميقاً لأنه رأى فيهم أصحاب السيطرة الحقيقية على مصائره المعيشية ، خاصة أنهم أضافوا الى مقدرتهم على استغلالهم ، باسم النبلاء ، استغلالهم عن طريق المتاجر وإقراض المال بالربا الفاحش . ولقد زاد السخط بين شعب رومانيا مع الزمن على اليهود انتهى بثورة ضدهم .

وإن كان تاريخ اليهود في رومانيا قد حفل بالحوادث أثناء القرن التاسع عشر ، إلا أن تاريخهم في روسيا القيصرية قد تجاوب في أحداثه ويعد أثره على نطاق امتد في الزمان والمكان امتداداً اتفق ومكانة روسيا وظروفها .

ومن ثم كان من الطبيعي أن يكون تفاعل اليهود مع الروس في جسامته وحدّته متلائماً مع ضخامة أعدادهم وخسائس أفعالهم ، وحاولت روسيا أن تحدد إقامتهم بأن تخصص لهم أقاليم لا يبرحونها الى سواها دون إذن من السلطات العامة . وقد احتوت تلك الاقاليم على أكثر من نصف اليهود في العالم . وقد استغل اليهود في روسيا ، بالإضافة الى الربا وإقراض المال ، صناعة الخمور وبيعها ، بل إن تجارة الخمور أصبحت احتكاراً عليهم .

ولذلك عاش الاهالي في دين مستمر لأصحاب الحانات اليهود. فأضيف الى الحقد الذي نتج عن سوء سلوك اليهود واستغلالهم للشعب الروسي الى ما تعلموه من المسيحية التي تدعوهم الى كره اليهود ولعنهم، لانهم صلبوا المسيح في زعمهم. وكان الكره الروسي متجاوباً مع نشاط اليهود العنيف في استغلالهم. ولقد اشيع عند اغتيال الاسكندر الثاني سنة ١٨٨١ أن لليهود يداً في ذلك. ولذلك قام الفَلاّحون وأهل المدن بهجوم كان القصد منه تدمير اليهود للأخذ بالثأر لمليكهم المصلح في ربيع سنة ١٨٨١. وتكرر الاعتداء في صيف العام نفسه وفي ربيع العام الذي تلاه.

وقد أصدرت الحكومة بعض القوانين المؤقتة لتنظيم إقامة اليهود لقاء استفزازهم للشعب وهجوم الشعب عليهم من حين لآخر استجابة لعقيدته المسيحية واستجابة لسوء سلوك اليهود الذين كتب الله عليهم المسكنة والذل فألهمهم الخطأ في السلوك لتضربهم الشعوب. وقضت هذه القوانين بعدم إقامة مستوطنات جديدة أو شراء أملاك أو سلع خارج المدن، كما أنها لم تسمح لهم بالعمل في أيام الآحاد والأعياد المسيحية.

ولقد ازداد اليهود سخطاً بهذه القوانين التي أطلق عليها «قوانين مايو» وأصابهم الذعر من المذابح المتكررة التي تلاحقت بهم حتى بلغت أقصاها في حوادث سنة ١٩٠٥. وقابلوا ذلك بالهجرة الى أوروبا وأمريكا وبالحركات السرية في روسيا. وقد حاول الغرب من أقصى اليمين الى أقصى اليسار أن يسد بابه دون اليهود وأن يفتح أمامهم باب الشرق العربي. وما أن تفجرت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ حتى كان الغرب قد وصل الى سياسة

إغلاق الباب نهائياً في وجه المهاجرين اليهود، لأن هؤلاء المهاجرين من روسيا الى هذه البلاد الغربية لم ينسوا أن يصحبوا معهم ثقافتهم وطرق حياتهم الخاصة مما آثار شكوى الدول الأوروبية وإعلانها لرأيها عن تجربتها المؤلمة معهم. فهم لم يتخلوا عن نظريتهم المعادية للمجتمع المحيط بهم، ولم يتخلوا عما تنطوي عليه نفوسهم من قسوة وضغائن. وظهر ذلك بطريقة عملية في مزاولتهم لأعمالهم العادية أثناء السلم، وفي محاولة الهرب من الخدمة العسكرية عقب اندلاع الحرب في سنة ١٩١٤، ولم يراعوا المنافسة الحرة الكريمة في العمل، فحاول العمال منهم أن يعملوا بأجور مخفضة انخفاضاً يضر بمصالح العمال غير اليهود في بلدان أوروبا الغربية، كما حاول المشتغلون منهم بالتجارة أن ينافسوا غيرهم من التجار بعرض سلع رخيصة والاكتفاء في أغلب الأوقات بنصف الأرباح المعتادة معتمدين في ذلك على ما تعودوه في مواطنهم الأصلية من انحراف في التعامل والتواء في الوصول الى مآربهم المادية.

وقد جاءت الحرب العالمية الأولى فكشفت عن هذا الانحراف والالتواء لأن أوقات الأزمات أقدر على إظهار جوهر الخلق والسلوك الاجتماعي من أوقات الهدوء العادي. وتجاوبت الشكوى في أوروبا وأمريكا من محاولات اليهود الطارئين المعقدة في إخفاء أنفسهم وأشخاصهم عن نظر إدارات التجنيد الإجباري بالرغم من حصولهم على الجنسية في الدول التي استوطنوها بعد الهجرة. وكانوا يشوهون أعضائهم حتى يتهربوا من الجندية وحتى بعد التجنيد، مما جعل الحلفاء الغربيين يرون في اليهود مثالاً في عدم

الولاء وإنكار الجميل مما أدى الى تعاظم الحقد عليهم.

الولاء بين اليهود والنصارى

من هذا السرد التاريخي للعداء اليهودي النصراني يتضح بمالا يدع مجالاً للشك أنه لم يحدث ولاء بين اليهود والنصارى عبر التاريخ، وإنما حدث العكس من ذلك: العداوة والبغضاء. ويشير القرآن الكريم الى ذلك ويقرر أن العداوة قائمة بين اليهود والنصارى. ففي سورة الصف (الآية ١٣) يقول الله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين مَنْ انصاري الى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**» والذين آمنوا هم الذين أصبحوا «نصارى» والذين كفروا هم الذين استمروا على يهوديتهم.

وتقرر الآية أنهم منذ ذلك الحين أصبحوا أعداءاً وأن الله سبحانه وتعالى قد أيد النصارى على اليهود فأصبحوا ظاهرين عليهم مسلّطين. وكذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة (الآية ١١٣): «**وقالت اليهود: ليست النصارى على شيْ، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيْ، وهم يتلون الكتاب**».

ولكننا نجد أن الآية (٥٠) وما بعدها من سورة المائدة تقرر أن هناك ولاءاً بين اليهود والنصارى، وتحذرنا من أن نتخذ اليهود والنصارى أولياء.. فكيف يمكن التوفيق بين الذي جاءت به آيات القرآن، والتي تقرر العداوة

بين اليهود والنصارى، وكذلك الواقع التاريخي للعداوة المستمرة بين اليهود والنصارى.. وبين الولاء الذي تتحدث عنه الآيات (٥٠) وما بعدها من سورة المائدة والتي يقول الله فيها: **«ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم. إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم: إنهم لمعكم، حبطت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين. ياأيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه، فسوف يأتي اللهُ بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومةَ لائم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم. إنما وليكم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول اللهَ ورسولَهُ والذين آمنوا، فإن حزب الله هم الغالبون»**.

فالقرآن يتحدث في هذه الآيات عن ولاء وتناصر بين اليهود والنصارى. والآية (١١٣) التي أشرنا اليها من سورة البقرة والآية (١٣) من سورة الصف، تتحدثان عن خلاف وعداء بين اليهود والنصارى، والواقع التاريخي الذي سردنا قسماً منه يؤكد هذه العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى. وهذا في ظاهره تناقض، ومعاذ الله أن يتناقض كتاب الله. إذن لابد أن آيات المائدة، التي نحن بصدد تفسيرها، تتحدث عن فترة زمنية

آتية بعد نزول الآيات. فهي لا تصف واقعاً في حين نزولها، إذ لم يكن في حين نزولها ولاء بين اليهود والنصارى في جزيرة العرب أو في أية بقعة من بقاع العالم. فالنبي، صلى الله عليه وسلم، حين نقض اليهودُ العهدَ في المدينة قاتلهم منفردين في المدينة وفي خيبر وتيماء ولم يحدث لهم مساعدة وتناصر وموالاة من النصارى. إذ لم يكن في المدينة وما حولها نصارى، وكذلك لم يكن في مكة يهودٌ ولا نصارى.

ولما اقتضى الأمر أن تُحمل الدعوة الى خارج الجزيرة، خرج جيش المسلمين فقاتل النصارى في ديار الشام لأول مرة في معركة مؤتة. إذن هذه الآيات هي من آيات الغيب التي تتحدث عن فترة زمنية قادمة يتعاون فيها اليهود والنصارى، ويوالي بعضهم بعضاً للتآمر على المسلمين. وهذه الآيات التي أخبرت عن مستقبل آت هي من قبيل قوله تعالى في سورة الروم (الآيات ١ - ٦): **«آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيَغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. ينصر من يشاء. وهو العزيز الرحيم، وعدَ الله، لا يُخلف الله وعدَه. ولكن أكثر الناس لا يعلمون»**. وهي من قبيل قوله تعالى في سورة النور (الآية ٥٥): **«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، ولَيمكّننّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم ولَيبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً. يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»**.

وبالفعل انتصرت الروم بعد فترة وجيزة على الفرس كما وعد الله في

كتابه . وبالفعل حقق الله وعده للمؤمنين فأصبحوا خلفاء الأرض يعمّرونها ، وأصبح دينهم هو الدين المسيطر. وأصبحوا يعيشون في أمن وطمأنينة في بلادهم وفي كل بلد دخلها الإسلام.

القرآن يتحدث عن المستقبل

ولما كان القرآن هو كتاب الله الخالد الى يوم القيامة ، ويتحدث عن مسيرة البشرية الى أن تلقى ربها ، فمن البديهي أن يشير الى الأحداث الكبرى في صراع المسلمين مع أعدائهم من اليهود والنصارى. وكم من الآيات التي نقرأها اليوم فنقف أمامها خاشعين لأنها ترسم صورة المجتمع الذي نعيشه . كقوله تعالى في سورة الأنعام (الآية ٦٤) : **«قل هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم . أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض . أنظر كيف نصرف الآيات لقوم لعلهم يفقهون»**. أليست هذه الآية واحدة من الآيات التي ترسم صورة ما عانته الأمة وما تعانيه من فئات متباينة وأحزاب متلاعنة وحروب محلية واستعمال للطائرات والقنابل والألغام والمدافع بين الفئات المتحاربة من الأمة الواحدة. هذه الأسلحة الحديثة (من فوقكم ومن تحت أرجلكم) لم تكن معروفة وقت نزول هذه الآية. وهذا يدل على أن هذا القرآن هو معجزة الله الخالدة ينبه الأمة لأن تسير طريقها السوي وتمشي صراطها المستقيم وإلا حل بها عذاب في دنياها مصداقاً لقوله تعالى في سورة السجدة (الآية ٢١) : **«ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، لعلهم يرجعون»**. وحينما نقرأ آية أخرى من هذه الآيات التي تتحدث عن فترات زمنية قادمة

بعد نزولها تمرض فيها الأمة مرضاً مادياً، فتنصرف الى التمتع بالملذات والجري وراء الشهوات والانغماس في الرذائل وذلك نتيجة انصرافها عن عبادة الله وعن الجهاد والذكر، وكيف أن ذلك سيؤدي بها الى الهلاك والدمار، لأن الترف دائماً يمزق الأمم ويهدم الحضارات لأنه يُفقد الأمةَ صلابتها ويقتل روح التحدي فيها فتستريح من تعب الجهاد وتنام مسترخية فيدب في جسمها التفسخ وذلك حينما تعرض عن الجهاد وعبادة الله التي خلقت من أجله، يقول تعالى في سورة الأنعام (الآيتين ٤٤ - ٤٥): **«فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيءْ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون. فقُطع دابر القوم الذين ظَلموا، والحمد لله رب العالمين»**.

أرأيت الى الصورة الإعجازية الربانية كيف ترسم الواقع الذي تعيشه البشرية الآن التي أعرضت عن الله فلم تتوقف بينها الحروب المدمرة. ففي هذا القرن وقعت حربان عالميتان أصابت شرورهما الإنسانية جمعاء. وفي هذا القرن اندلعت كثير من الحروب المحلية المحدودة التي دمرت البلدان التي اشتركت فيها. وفي هذا القرن، حيث أعرضت الانسانية عن ربها نهائياً، كثرت الزلازل والفيضانات وحوادث الصقيع والجليد التي يعطي الله بها الإنذارات للبشرية علها تعقل. ألم تر الى نيويورك، وهي أكبر عاصمة مادية في الكرة الأرضية، كيف نهبت في ليلة واحدة حينما سادها الظلام نتيجة لانقطاع التيار الكهربائي قبل بضع سنين.

والقوتان العظميان تحشدان الأسلحة النووية الفتاكة والأسلحة الجرثومية

وتتفننان في اختراع ما يؤدي الى هلاك البشرية. وهما في نفس الوقت يدعوان الى الإلحاد وينشران الفساد فأعرضت البشرية تحت توجيهها عن ذكر الله. فهل يحدث خطأ مقصود أو غير مقصود فتخرج هذه الأسلحة المخزونة من عقالها لتدمر البشرية.

ونحن في العالم الإسلامي بدأنا نلحق بالبشرية الضالة. نلهث وراء الموضة ونقلد، بوعي وبدون وعي. نأكل ما يأكل الكفار، ونلبس ما يلبسون، ونشرب ما يشربون من حلال أو حرام. وأخذنا ننصرف عن الوحي، عن القرآن والسنة. وفي هذه الحقبة الزمنية فتح الله على البشرية أبواب كل شيْ بحيث أصبحت الحياة سهلة ميسورة لا مشقة فيها ولا عنت. الطعام يأكله الإنسان شبه مهضوم، واللباس يشتريه مخيطاً وكل يوم لباس جديد وموضة جديدة حتى سئم الإنسان من اللباس الفاخر فذهب يلبس اللباس القذر (الجينز)، وكلما بهت لون القماش واتسخ كان ذلك (علامة التقدم والرقي الحضاري). وجاءت السيارات وتبعتها الطائرات وتطورت وسائل المواصلات حتى صغرت الكرة الأرضية وأصبحت في متناول الإنسان يرتادها في يومين أو ثلاثة أو في يوم أو في بعض يوم. وجاءت الكهرباء ومشتقاتها آلة تطبخ وأخرى تغسل وثالثة تنظف ورابعة تكوي وخامسة وسادسة الى ما لا يعد ولا يكاد يحصى. وتفنن الناس في بناء القصور وزخرفتها، وأصبح الديكور في البيوت يكلف أكثر من البيت نفسه. ورأينا في عواصمنا نحن المسلمين بيوتاً تبنى يسكن فيها زوجان يكفي ثمن الواحد منها لإطعام قرية جائعة. وأصبح التفاخر بالأثاث الفاخر

والديكور وبرك السباحة مجالاً للفرح والتيه. فهل رأيت كيف تصف هذه الآية من القرآن الكريم الواقعَ الذي نحياه الآن، وأن هذا الترف اللامعقول واللامقبول سيؤدي الى تدمير الحضارة الغربية بوجهيها الاشتراكي والرأسمالي. وإننا نحن في المنطقة الإسلامية ونحن في معركة مع عدونا، وهي معركة بقاء أو فناء، كيف نستسيغ لأنفسنا العيش في هذا الترف القاتل وبناء هذه القصور. وإن بعض الأحياء السكنية في بعض العواصم العربية فيها من القصور والديكور والتفنن المعماري ما لا يكاد يوصف مع أنها في كل لحظة تحت رحمة صواريخ العدو وطائراته بل ومدفعيته، والله يهددنا إن لم نتعظ فانه سوف يأخذ هذا الترف كله ويفنيه، ونعيش بعدها مبلسين في يأس وقنوط.

ولقد حقق الله المثل الذي ضربه في القرية التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان. وتتمثل هذه الصورة اليوم في بيروت التي كانت مثالاً للحياة المتفسخة، لا تنام الليل وتلهث في النهار. انهارت فيها القيم واختلط الحابل بالنابل والنجاسة بالطهر، والكفر بالإيمان والعهر بالاستقامة، والرجولة بالميوعة، حتى لم تعد تميز بين خير وشر وحلال وحرام، ولا تعرف المسلم من غير المسلم، يلهث وراء اللذة ويشبع جوع المعدة وجوع الجنس بأي وسيلة وكيفما اتفق.

وفجأة فإذا بيروت تعيش الخوف والجوع ويُهلكها العهر ويمحقها الربا. فكل تجارة بيروت وعماراتها وأسواقها قائمة على الربا. ولما كان القرآن قرر أن الربا مآله المحق، فاجتمع في بيروت الترف والكفر والربا وكلها عوامل

الدمار لأي مدينة في الأرض. ولنتدبر الآيات المعجزات :

«وإذا أردنا أن نُهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحقّ عليها القول، فدمّرناها تدميراً» (١٦ : الإسراء)

«يمحق الله الربا ويُربي الصدقات، والله لا يحب كل كفّار أثيم».

(٢٧٦ : البقرة)

«وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»(١١٢ : البقرة)

ولسائل أن يسأل : هل بيروت وحدها التي أسرفت وكفرت ورابت! والجواب هو: أن عواصم الغرب الكبرى دمرت في خلال هذا القرن مرتين، مرة في الحرب العالمية الأولى والأخرى في الحرب العالمية الثانية، ولا ندري هل سيبقى منها أثر في الحرب العالمية المقبلة أم لا.. وبهذا يتبين أن آيات القرآن المتعلقة بمسيرة البشرية لا يصح أن تفسر تفسيراً تاريخياً فقط، كآيات الإسراء المتعلقة ببني إسرائيل وبعلوهم وفسادهم. وقد بينتُ في تفسيرها أن المرتين بعد نزول القرآن وليس قبله.

وبهذا السرد للآيات القرآنية التي تتحدث عن المستقبل، أردت أن أوضح أن معنى آيات المائدة في الموالاة بين اليهود والنصارى هو مستقبلي،

وأن التحدث عن المستقبل في علاقات المسلمين مع اليَهود والنصارى. ووأن تآمر اليهود والنصارى مجتمعين على المسلمين وأرض الإسلام، والأرض المباركة هو بعض ما جاء به القرآن الكريم.

تحقق الموالاة بين اليهود والنصارى في بداية القرن العشرين

ونعود الى الآية وتفسيرها: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض» (٥١ : المائدة). وقد بينا آنفاً أنه لم تحدث موالاة بين اليهود والنصارى منذ أن جاء عيسى عليه السلام بالنصرانية الى بداية القرن العشرين وأن العداء هو الذي كان بينهم، ولكن فجأة تحدث الموالاة والتناصر بينهم، وينسون الأحقاد التي كانت العلامة المميزة للعلاقات بينهم.. فقد تعاونوا في أول القرن على عزل السلطان المظلوم عبد الحميد، رحمه الله، حين رفض أن يعطي اليهود امتيازات في فلسطين. وكان اليهود في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقدوه بمدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ قد اتخذوا قراراً بالاستيطان في فلسطين التي كانت جزءاً من الدولة الاسلامية العثمانية. وذهبت رسلهم الى مقابلة السلطان في استانبول ومن الذين ذهبوا لمقابلة السلطان: اليهودي قره صو أفندي ورئيس المؤتمر الصهيوني هرتزل. وقد عرض هؤلاء على السلطان في بادئ الأمر أن يسدد اليهود ديون الدولة العثمانية وأن يخصوا السلطان بخمسة ملايين ليرة عثمانية ذهباً. ولكن السلطان، الذي كان على وعي تام بمخططات الكفار ضد بلاد المسلمين، وكان يحذِّر الواعين من الأمة من هذا التآمر، رفض العرض.

وظن اليهود أن الأمر يتعلق بقلة المبالغ التي عرضوها فأخذوا يرفعون الرشوة حتى بلغت الآتي :

تسديد ديون الدولة العثمانية ، وتعمير الأسطول العثماني ، ومبلغ مئة وخمسين مليون ليرة ذهباً للسلطان شخصياً.. ولكن السلطان المسلم ، رحمه الله ، أخبرهم بأن حفنة من تراب الأرض المقدسة تساوي أموال اليهود التي في الدنيا. فقرر اليهود أن يتخلصوا منه فتعاونت المحافل الماسونية مع الحركة القومية الطوارنية واليهود الدونمة (الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر) مع النصارى وتم عزل السلطان سنة ١٩٠٩ ونفي الى سالونيك وأهين وعذب وشوِّهت سمعته رحمه الله.

وكان اليهود قد تعاونوا مع الإنجليز في أثناء الحرب ، وكان وايزمان اليهودي عالماً كيماوياً فاستغل مخترعاته في أثناء الحرب ، وكذلك البيوتات المالية اليهودية ، مثل روتشيلد ، استغلت حاجة بريطانيا لمخترعاته وأموالهم. وكانت بريطانيا لا تزال العدو الأول للمسلمين فأعطت اليهود وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، وكان ذلك في أثناء الحرب وباتفاق مع أمريكا. وينص الوعد على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وكان هذا أول تعاون بارز بين بريطانيا النصرانية واليهود.

وبعد الحرب العالمية الأولى أنشئت عصبة الأمم النصرانية ، وفي سنة ١٩٢٢ أعطت حق الانتداب لبريطانيا النصرانية على فلسطين لتضع البلاد

اقتصاديا وثقافيا وعمرانيا وسياسيا في وضع يتحقق منه إنشاء الوطن القومي اليهودي. وبالفعل قامت بريطانيا النصرانية بهذا الأمر شر قيام، فعينت أول مندوب سامٍ لها في فلسطين من اليهود وهو هربرت صمويل.

استمر هربرت صمويل مندوباً سامياً في فلسطين لمدة ست سنوات، وضع فلسطين خلالها في وضعٍ يساعد على إنشاء الوطن القومي لليهود، فسنّ قوانين إباحة الهجرة اليهودية وتغاضى عن الهجرة اليهودية «غير الشرعية»، وفرض ضرائب باهظة على الأرض حتى يضطر الفلاح العربي المسلم الى بيعها، وأباح استيراد القمح من أستراليا وبيعه بأرخص من القمح الذي تنتجه أرض فلسطين، وحتى لا تقوم الأرض بتكاليفها وتكاليف معيشة الفلاح. ومع هذا فان هذه السياسة لم تنجح في أن يبيع أهل فلسطين أرضهم وبقوا متشبثين بها، بالرغم مما يقوله أعوان اليهود وسماسرة الحكام من أمثال المدعو أنيس منصور رئيس تحرير مجلة (اكتوبر) المصرية الذي قال، بكل وقاحة، ان اليهود اشتروا فلسطين شبراً شبراً، حتى يبرر لسيده المرتد مناداته ببقاء دولة اليهود في فلسطين. والواقع هو أن اليهود كانوا يملكون من أرض فلسطين ٢ في المائة حتى سنة ١٩١٨ وحتى ١٩٤٨ كان مجموع ما ملكه اليهود من فلسطين ٥,٨ في المائة حسب إحصائية الأمم المتحدة. ولم يكن الـ ٣,٨ في المائة بيعاً من أهل فلسطين وإنما كان من الأراضي التي تملكها الدولة وأعطتها بريطانيا النصرانية لليهود، وبعض العائلات الإقطاعية التي كانت تمتلك قسماً كبيراً من شمال فلسطين وكانت تقيم في لبنان، ومنها عائلة سرسق وعائلة سلام، باعت أرضها لليهود.

مقاومة الشعب الفلسطيني

وأخذ الشعب في فلسطين يقاوم سياسة التهويد ويتشبث بأرضه ، فقام بالثورات المتلاحقة فكانت ثورة سنة ١٩٢١ ، وثورة سنة ١٩٢٩ حينما ادعى اليهود ملكيتهم لحائط البراق وأنه من بقايا هيكل سليمان ، ثم ثورة سنة ١٩٣٣ ثم الثورة الكبرى من عام ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ ، حيث قام الشعب كله يصارع بريطانيا واليهود ويضرب المثل للدنيا في التضحية والفداء ، وقدّم آلاف الشهداء وتعرض للتعذيب في السجون والمعتقلات . وعاش الناس في إرهاب ولكن روح التحدي فيهم كانت عالية لم تستطع بريطانيا اقتلاعها أو تدميرها بالرغم من المشاكل . وفي هذه الأثناء أنشأت بريطانيا جيشاً لليهود ، أخذت تدربه وتسلحه باسم حرس المستعمرات (الهاغاناه) . وكان هذا الحرس هو النواة الحقيقية لجيش دولة اليهود فيما بعد . وكل رؤساء الأركان فيما يسمى بجيش الدفاع اليهودي منذ سنة ١٩٤٨ هم من ضباط هذا الفريق اليهودي مثل ديان ، وآلون ، ويادين وغيرهم .

وهكذا عملت بريطانيا النصرانية باعطاء اليهود كل ما يريدون وأكثر مما يريدون ، وأسست لهم دولة في أرض الاسلام واستمر التعاون بين اليهود والنصارى في هذا القرن ، فأصدرت هيئة الأمم النصرانية ، وريثة عصبة الأمم – والتي أسسها الحلفاء المنتصرون لتقسيم مناطق النفوذ فيما بينهم – قراراً بإنشاء دولة اليهود في فلسطين عام ١٩٤٧ .

وتسابقت الدول النصرانية الكبرى على الاعتراف بهذه الدويلة ، فتفتخر أمريكا النصرانية ، ووريثة بريطانيا النصرانية في عداء المسلمين ، بالاعتراف

بهذه الدولة بعد إنشائها بإحدى عشرة دقيقة ، وكانت روسيا الدولة الثانية ونالت «الفخر» بهذا الاعتراف السريع ، مع أن هذا الاعتراف يخالف مبدأها الشيوعي الذي تقوم عليه وهو (الأممية) ومحاربة (العنصرية) كما يزعمون.. إلا أن العداء للإسلام جمع بين أطراف الكفر المتناقض الذي هو كقطعة العملة الواحدة ذات الوجهين.

وتوالت اعترافات الدول النصرانية بدولة اليهود. وبعد ذلك أخذت الدول النصرانية تلهو بالمسلمين وبحكامهم فتصدر قرارات في هيئة الأمم المتحدة تبين حقوق الفلسطينيين بأرضهم وتطالب بعودتهم وبتنفيذ قرارات التقسيم. والحكام الذين والوا اليهود والنصارى ، والذين هم من صناعة اليهود والنصارى ، أعجبتهم اللعبة والعبث الذي يجري بهم وبأمتهم ، فكلما اجتمع حاكم إلى حاكم أصدرا بياناً يطالبان فيه بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين والتي أصبحت لا تعد ولا تحصى.

واستمر التعاون بين اليهود والنصارى حتى كان العدوان الثلاثي على مصر المسلمة حيث اشتركت جيوش نصرانية (فرنسية وبريطانية) مع جيش يهودي في الهجوم على مصر سنة ١٩٥٦. وهذا لأول مرة في التاريخ.

وفي الستينات من هذا القرن بلغ التعاون ذروته بإعلان البابا تبرئة اليهود من دم المسيح – حسب زعمهم – حتى لا يتأثر النصارى المتدينون حينما تسقط مقدساتهم في أيدي اليهود الذين صلبوا المسيح – حسب زعمهم.. وبلغ الأمر ذروته بتعاون النصارى (الموارنة) في لبنان بكل وضوح وبكل وقاحة مع اليهود وحيث يقاتلون المسلمين في خندق واحد.

ومن العجيب الغريب أن دولة لبنان النصرانية لم تتوقف عن دفع مرتبات جنود سعد حداد بالرغم من تعاونهم العلني مع اليهود. وهذه الأموال من دافعي الضريبة المسلمين، ومن مساعدات دول البترول - التي سكانها مسلمون - فكيف حدث هذا؟ أو كيف يحدث هذا؟ إنه الكفر وأعوانه يفعلون ما يريدون.

وأما ما قاله الطبري وغيره من المفسرين في قوله تعالى **«بعضهم أولياء بعض»** فانه علل ذلك بأن اليهود أنصار بعضهم البعض ويد واحدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك.. وهذا القول مردود بالقرآن وبالواقع التاريخي لأن القرآن يقرر أن النصارى مختلفون الى يوم القيامة وبينهم العداوة والبغضاء، فلا يمكن أن يكونوا يداً واحدة لأن الله تعالى يقول في سورة المائدة (آية ١٤): **«ومن الذين قالوا: إنا نصارى، أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة، وسوف ينبئهم اللهُ بما كانوا يصنعون»**.

ولذلك، منذ أن انقسم النصارى الى طوائف، والعداوة قائمة بينهم على أشدها.. فالكنيسة الشرقية (الأرثوذكس)، التي مقرها اسطنبول، لا تعترف بالكنيسة الغربية (الكاثوليك أو اللاتين) التي مقرها روما، وبابا روما لا يعترف ببابا أسطنبول. وقد انقسمت الكنيسة الغربية وانفصلت عنها حركة التجديد الديني (البروتستانتية) التي تزعمها مارتن لوثر كنج والتي تتمثل في الكنيستين الإنجليزية والألمانية.. فلا يعترف البروتستانت بالبابا ولا يعترف البابا بالبروتستانت فهو يعتبرهم خارجين عن الكنيسة (هراقطة) وهم يعتبرونه مرتيناً لأنه يؤمن بالتماثيل والصور. والصراع الدموي بين

البروتستانت والكاثوليك في ايرلندا الشمالية ، القائم على أساس ديني والذي لم يهدأ منذ سنوات طويلة ، يعطي صورة واضحة عن عداوة النصارى بعضهم مع بعض ، والحروب بين دول أوروبا النصرانية لم تتوقف عبر التاريخ . فما من دولة أوروبية الا وحاربت جارتها النصرانية ، وكثيراً ما كان العامل الديني المذهبي هو المحرك في هذه الحروب .

واليهود كذلك ليس بعضهم أولياء بعض بنص القرآن الكريم ، فكما أوقع الله العداوة بين النصارى بعضهم مع بعض ، أوقع العداوة بين اليهود بعضهم مع بعض وإلى يوم القيامة .. قال الله تعالى (٦٤ : المائدة) **«وقالت اليهود : يد الله مغلولة ، غُلَّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، وليزيدنّ كثيراً منهم ما أُنزل اليك من ربك طغياناً وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين»** .. ويقول الله تعالى ذكره في سورة الحشر (الآية ١٤) : **«لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جُدُر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون»** .

والمتتبع لأحوال اليهود في الأرض المغتصبة يجد مدى انطباق هذه الآية وصدقها على المجتمع اليهودي في فلسطين . فالأحزاب اليهودية حوالي ثلاثين حزباً من أقصى اليسار الشيوعي المتطرف الملحد الى أقصى اليمين الصهيوني المتحجر . والأحزاب تتناحر بعنف . والمجتمع اليهودي مجتمع عنصري طبقي مخيف . فالحياة الرغدة هي لليهود الأوروبيين ، والذين هم من أوربا الشرقية خاصة ، مثل روسيا وبولونيا . هؤلاء هم أصحاب السلطة في الدولة ، فكل

الزعماء الذين اقاموا دولة اليهود وحكموها تقريباً، منهم من أمثال غولدا مائير وبن غوريون وشرتوك وآلون وديان وبيغن. وهؤلاء أعطوا الامتيازات لأنفسهم وبقية اليهود الذين جاؤا الى فلسطين من أوروبا وأمريكا، أما اليهود الشرقيون الذين هم ليسوا من دول اوربا وأمريكا فهم مواطنون من الدرجة الثانية أو الثالثة فهم وقود الحرب ويعيشون في أدنى درجات السلم الاجتماعي.

الفئة التي والت اليهود والنصارى وأصلها مؤمن

وتتحدث الآيات محذرة المؤمنين من أن يوالوا اليهود والنصارى وقد قال ابو جعفر الطبري في تفسير قوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فانه منهم): ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، فانّ من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم. فإنه لا يتولى متولٍ أحداً إلا وهو به وبدينه مؤمن وما هو عليه راضٍ واذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه.

وبالفعل حينما بدأت الموالاة بين اليهود والنصارى، تمهيداً لإقامة دولة اليهود في أول هذا القرن، كان اليهود والنصارى قد مهّدوا الطريق لهذا الأمر بإنشاء الجمعيات والنوادي وقد أدخلوا فيها في باديء الامر أبناء النصارى واليهود فقط ولكن ذلك لم يؤد الى الغرض المقصود إذ أنهم يستهدفون الإسلام والمسلمين، فأدخلوا أبناء المسلمين في تلك الجمعيات والنوادي فيما بعد. وكانت الدولة العثمانية – دولة الخلافة – قد أصبحت الرجل المريض، وأنشاؤا المدارس الغربية في ديار المسلمين ونشروا الثقافة

الغربية. وبلغ هذا الأمر ذروته بإنشاء الجامعة الأمريكية في بيروت، هذه الجامعة التي خرّجت كثيراً من الساسة والحكام العرب الذين ساهموا في قيام دولة إسرائيل فيما بعد. وقد ذهب نفر من أبناء الأثرياء من المسلمين لتلقي العلم في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ورجعوا من الغرب مفصولين عن فكرهم الأصيل، وبدأوا يؤمنون بالقوميات ويعادون الإسلام الذي لا يميز بين بني البشر الا بالتقوى. وبدأ الغرب الصليبي المتعاون مع اليهود ينشئ جمعيات لهؤلاء الشباب القومي كجمعية الاتحاد والترقي في تركيا لأبناء الأتراك، وجمعية العهد لأبناء العرب وكان مقرها باريس.

وتعاون دعاة القومية مع اليهود والنصارى على هدم دولة الخلافة: الأتراك يدعون الى القومية الطورانية وفرضها على الشعوب التي تتكون منها الدولة الإسلامية، والعرب يدعون الى القومية العربية العلمانية والتخلص من حكم الدولة العثمانية. وكان السلطان عبد الحميد، رحمه الله، قد فهم اللعبة فقاوم ما وسعته المقاومة، وكان قد ورث الدولة العثمانية وهي شبه منعزلة، ولكنه استمر يناور دول الغرب ثلاثين عاماً حتى استطاعوا أن يتغلبوا عليه في النهاية فعزل عام ١٩٠٩، وكان عزله تمهيداً لقيام دولة إسرائيل في فلسطين. وقد تعاون القوميون على عزله فكانت «الثورة العربية الكبرى» والتي قامت لتخليص العرب من الدولة العثمانية. ثم جاء أتاتورك الذي حاول هو، وخلفاؤه من بعده، أن ينزعوا تركيا من الإسلام أو، بالأحرى، أن ينزعوا الإسلام من تركيا. ولكن الشعب التركي المسلم بدأ يعود حياته متمسكاً بدينه وقد فشلت مخططات تكفيره. ثم جاءت الحركات

القومية الثورية ، والأحزاب الاشتراكية ، والماسونيون ، وكلهم تعاونوا مع اليهود والنصارى بشكل أو بآخر ، وكلهم ساهموا في قيام دولة اليهود فأُبعد الإسلامُ عن الساحة نهائيا.. وذلك لأن دولة اليهود نجسة لا يمكن أن تقوم في أرض طاهرة يحكمها الإسلام ، فلابد من حكومات نجسة فكرياً حتى تقوم دولة لليهود من خلالها. فكان الفكر الذي سيطر على الأرض الإسلامية فكر أباح الزنا ودواعيه وأباح الخمر وشجع عليه وأباح القمار وأنشأ له نواد ، وأباح الربا وأسس له مؤسسات ضخمة تأكل أموال الناس بالباطل ، وحورب الإسلام ورجال الإسلام حرباً لا هوادة فيها فجعلوا من الإسلام عنواناً للتخلف الحضاري والتخلف العقلي. وصدق الله العظيم حين قال في سور المطففين (الآيات ٢٩ - ٣٣) : **«إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مرّوا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالّون وما أُرسلوا عليهم حافظين»** .

ومن ضمن الخطة التي وضعت لمحاربة الإسلام ، وحتى تقوم دولة إسرائيل ، أن حورب علماء الإسلام في أرزاقهم وأصبح ينظر اليهم على أنهم طبقة «غير منتجة» مادياً وأنهم عالة على مجتمعهم ، ونتج عن هذا مزيد من التفكك في المجتمع ومزيد من التآكل في الأسرة ، ومزيد من الميوعة ، وانقلب ميزان الفضائل ، فأصبح التقدم يعني الانحلال وأصبح الرقي يعني الثورة على الفضيلة وأصبح الكرم يعني أن تكرم بعرضك. وأبعد كل ما له علاقة بالإسلام عن الساحة حتى الكلمات التي لها علاقة بالإسلام منع استعمالها في المعركة ، فكلمة «الجهاد» مثلاً استبدلت بالكفاح والنضال ،

وكلمة الكفار استبدلت بالاستعمار، وكلمة اليهودية استبدلت بالصهيونية حتى تطمس الاصطلاحات الإسلامية والإسلام نهائياً. وبدلاً من أن يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين أصبح الولاء للقائد والحاكم والحزب وللفكر الكافر. والإسلام ربى المسلمين على أن يكون ولاؤهم لله ولرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولكنه منعهم من أن يربطوا الإسلام بشخصه الكريم، ولذلك حين خرجت الإشاعات في معركة أحد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قد قتل أصاب الوهن نفوس بعض الصحابة، رضوان الله عليهم، واعتقدوا أن الإسلام قد انتهى بموت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله مؤدباً للمؤمنين ومعلماً لهم: **«وما محمد إلا رسول، قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»**. (١٤٤: آل عمران)، وهكذا ركز القرآن الكريم في آيات عديدة على بشرية محمد، صلى الله عليه وسلم. ويقول تعالى مؤكداً على بشرية نبيه، خوفاً من أن يؤلّهه الناس: **«قل: إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما إلهكم إله واحد»** (١١٠: الكهف)، فيقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله)**. وكان الرجل يدخل على مجلس النبي، صلى الله عليه وسلم، فيسأل: أيكم محمد؟ حيث كان لا يتميز عن أصحابه بلباس أو مجلس..

ولكننا رأينا، في زمننا هذا، أن الزعيم مقدس وأن الحاكم لا يخطئ. فمؤسس الحزب ينظر له بقداسة. ولقد استغل بعض الساسة والزعماء هذا الأمر فأخذوا يستهزئون بالشعوب ويتلاعبون بالعقول والناس تلهث وراءهم

تصفق بأيديهم وتهتف بحناجرها، وعقولها في إجازة، والزعيم يلعب بالعواطف، يجعل الأبيض أسوداً والأسود أبيضاً ثم يعود البياض الى بياضه ثم يعود مرة أخرى سواده وهو هو لم يتغير. فبطل الأمس خائن اليوم، وفجأة تقتضي مصلحة الزعيم أن يعود هذا البطل الى خيانته، ثم يعود مرة أخرى الى بطولته، والجماهير تتبع رأي الزعيم لا تسأله: لمَ غيّر وكيف بَدّل؟ إنه آمن لولائها بعد أن أفقدها وعيها. وهكذا سابق أصحاب الشعارات، المتجردين من الإسلام، الأمة الى الهزائم المتلاحقة والنكبات المتتابعة بعد أن رضوا أن يكونوا حكاماً على الدويلات الممزقة والتي صغر بعض منها فأصبح على مستوى الحارة، وإن بعض الأحياء في العواصم الكبرى عدد سكانها أكثر بكثير من عدد سكان بعض تلك الدويلات التي لها أعلام وسفارات وسلام رسمي، وهي أعضاء في هيئة الأمم، كذلك، بجانب الدول الكبرى التي تتحكم في مصائر الأرض. ولكن كل ذلك كان حتى تقوم وسط التمزق والتشرذم والتلاعن والتباغض بين حكام الدويلات دولةُ اليهود. وأغلب حكام هذه الدول أو الدويلات ممن يوالون النصارى واليهود فيعتقدون بعقيدة النصارى القائلة بفصل الدين عن الحياة، وأن الدين لا علاقة له بحياة الناس، فهم يبيحون الربا كما أباحه النصارى واليهود، ويبيحون الزنا كما أباحه النصارى واليهود، وينادون بالحرية الفردية التي لا تعرف القيود والحدود كما طبقها النصارى واليهود.. وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين قال: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوك القذة بالقذة شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**)..! قالوا يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن! وبذلك صدق قول الله تعالى: «**ومن يتولهم منكم فانه منهم**» لأنه آمن

بعقيدتهم ونمط حياتهم، وبالرغم من الهزائم المتلاحقة التي لحقت الأمة على أيدي من والى اليهود والنصارى فقد استمروا في (طغيانهم يعمهون) فلم يغيروا أنظمة الكفر ولم يحرموا ما حرم الله ورسوله حتى يغير الله ما بهم وما حل بأمتهم من هزائم.

ومضت هذه الفئة التي والت اليهود والنصارى إلى إرضاء اليهود والنصارى حتى لم تترك طريقاً ترى فيه إرضاءاً لليهود والنصارى الا اتبعته. فحولت وسائل الإعلام في العالم الإسلامي الى أدوات تهدم كل القيم التي تكونت منها أمتنا والتي استطاعت بها أن تكون «خير أمة أخرجت للناس» تهدي الضال وتدل الحائر وتطعم الجائع وتُحسن لليتيم ولا تنسى البائس الفقير، ويتقدم الإنسان في ظل هذه القيم بجهده وتقواه لا بِعرقه ونسبه، يجعل العبادة لله وحده لا للزعيم ولا للقائد ولا للحزب ولا للمال ولا للشهوة ولا للعقل ولا للعلم، فيكون الإنسان في ظل هذه القيم حراً كما خلقه الله.. قيود حريته خيوط تمتد الى منابع السماء فيها الفضيلة والرحمة والمحبة والإيثار والإحسان الى ذوي القربى والجار ولو خالف دينك أو لم يكن على عقيدتك. إنها قيم تجعل الأسرة هي اللبنة في بناء المجتمع، أسرةً متناسقة منسجمة لها قائد يقوِّم معوجّها ويمنع انحرافها، فاذا اعوجّ قائد الأسرة تدخل ولي أمر المجتمع فحجز على السفيه ومنع تصرف المجنون، وهكذا تمشي الحياة في ظل القيم في انسياب رحيم وتساوق جميل، يعرف الإنسان في ظل هذه القيم أنه خلق لعبادة الله **(وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون)** فهو يأكل ليتقوى على العبادة، وهو يشرب خوفاً من أن يذوي. والعبادة ليست في الصلاة وحدها وليس في الصوم وحده، وإنما العبادة في

كل عمل يقوم به الإنسان ، فهو لا يغشّ لأن الغش حرام ، وهو لا يسرق لأن الله منع السرقة ، وهو لا يزني لأن الزنا مرفوض من الله ، وهو يجاهد لأنه يريد أن يدخل الناس جميعاً في الخير الذي دخل فيه حتى يصل الناس جميعاً إلى الله بسلام وأمن ومحبة. وهو لا يخون أمته لأن الخائن مرتد ، وهو لا يعين عدو أمته لأنه بذلك يذهب الى النار ، وهو لا يرابي لأن من رابى فقد أعلن الحرب على الله ، ورسوله ، ولا يحتكر أقوات الناس لأن من احتكر فقد أخطأ كما ورد في الحديث (المحتكر خاطئ) ، وهو لا ينام على شبع وجيرانه جوعى. وذوو رحمه لا يجدون الطعام لأنه بذلك يكون قد خرج من حظيرة الإيمان كما ورد في الحديث (**ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع الى جانبه وهو يعلم**).

في ظل القيم الإسلامية يكون المال وسيلة لإشباع حاجات الإنسان الضرورية بالطرق التي رسمها الشرع وما تبقى منه فهو للإنفاق على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ووجوه الخير المختلفة. وفي ظل هذه القيم يتعلم الانسان الصدق لأن الكذب حرام ، والوفاء واجب لأن الغدر حرام.. وجاءت وسائل الإعلام لتنسف هذا كله أو لتشوِّه هذا كله ، فأخذت تُقنع الناس بأن الربا ضرورة من ضرورات الحياة الاقتصادية وأن الناس لا يعيشون بغير ربا.. وغرق الناس أو كثير من الناس في الربا ، وبدأوا يذوقون القلق ويعرفون الأرق تلاحقهم الأقساط وتلهب ظهورهم الكمبيالات. والمرابي لا يرحم ولو أدى بالإنسان الى بيع أثاث بيته. إنه يريد الربا ويريد المال.. أما الرحمة وأما المنظرة الى ميسرة فهي أليق بالمؤمنين ، أما المرابي فهو إنسان آخر لا يهمه عذاب الإنسان ولا جوع الأطفال ولا تحطيم الأسر ،

وكلما ازداد أكله للربا ازداد تحجر العاطفة في نفسه، فهو لا يرحم ولا يشفق الا لمصلحة يراها أو ربا صوب نحوه ليقتضيه أو ليتظاهر بأنه حمل وديع وإنسان من أصحاب الخير. وبدخول الربا عرفت المجتمعات الإسلامية شقاء المجتمع الغربي الربوي، وبدأ الناس يعيشون في دوامة من الطمع والهلع، يذوى الخير في نفوسهم وتلاحقهم التعاسة والشقاء. وبدأت الكوارث الربوية تتوالى في بلاد المسلمين في حتمية إلهية حيث يقول: **«يمحق الله الربا»** (٢٧٦ : البقرة)، وتهاوت مؤسسات ربوية ضخمة معلنة إفلاسها، وأممت مؤسسات ربوية كثيرة أخرى، وولول صغار المساهمين وتحسروا على مالهم الذي ضاع والذي محق فيه الربا الحلال والحرام، وكثرت الأمراض نتيجة للقلق وتنوعت، وتنوع معها العلاج وكثر، فهناك حبوب من أجل أن ينام الانسان وأخرى من أجل أن يستيقظ وثالثة من أجل أن يخف ضغط الدم ورابعة لتفتح الشهية وخامسة وسادسة الخ من الأدوية والمسكنات. ومن المناظر المألوفة في مجتمعنا اليوم أو في مجتمع التجار وأرباب الاموال ممن أبتلوا بالربا فإنه اذا كسدت السوق لأمر أو لآخر ترى التجار المقترضين وأرباب الأموال المرابين وقد علاهم الوجوم وعصرتهم الهموم، يقترض الواحد من جاره ليسدد القسط الذي حان موعده ثم يبيع حلي إمرأته ثم لا يجد شيئاً يبيعه أو يقترض منه فيسقط صريع الربا في شلل أو مرض وعندها يموت في سكتة قلبية. وإرضاءاً لليهود والنصارى، أباحت الفئة المتعاونة معهم الاحتكار فأصبحت بلادنا في قبضة الشركات الاحتكارية، وأصبح كبار التجار يخزّنون أقوات الشعب لدرجة أنهم يرفضون السعر ليأخذوا بذلك ربحاً وفيراً حلالاً أو حراماً فيبنون به القصور ويساهمون فيه في البنوك ويؤسّسون شركات الاحتكار فيبنون به القصور

ويساهمون فيه في البنوك ويؤسسون شركات الاحتكار وهكذا دواليك، ولا يهمهم بعد ذلك أ شَبعَ الناسُ أم جاعوا، اكتسوا أم عاشوا في الأثمال البالية والخرق المرقعة، وبعد ذلك يخرجون على الناس (بأعمال خير) ليخصصوا على الناس كما يزعمون فينشئون لهم اليانصيب الخيري ويتهافت الفقراء على شرائه طمعاً في الربح السريع ويحرمون أطفالهم كل أسبوع أو كل شهر أو كل إصدار من ثمن ورقة اليانصيب فيزدادون فقراً على فقرهم وجوعاً على جوعهم. وافتتحت نواد للقمار تقليداً لنوادي الغرب، هذه النوادي التي تتحطم فيها نفسية الإنسان وكرامة الإنسان، وبعض نوادي القمار في أوروبا والغرب يعمرها أثرياء النفط فتنساب الأموال من بين أيديهم الى جيوب اليهود والنصارى لترتدّ علينا بعد ذلك طائرات تقصف ومدافع تدمر.

ومن المسارعة في إرضاء اليهود والنصارى هذه الأموال المكدسة في بنوك أوروبا وأمريكا، سواء للدول أو للافراد الأثرياء، والتي تدعم عملات هذه الدول التي تتعاون مع اليهود لافنائنا وإذلالنا. هذه الأموال، التي لا يكاد يحصيها عد، تفقد قيمتها مع الزمن نتيجة للتضخم النقدي وللأزمات الاقتصادية التي هي من مميزات النظام الرأسمالي في هذا العصر. وهكذا تفقد الأمة ثروتها لأن الذين يريدون إرضاء اليهود والنصارى لا يخططون لبناء أمة قوية ولا لدحر عدو ولا لاستخلاص حق.

وإرضاء لليهود والنصارى، ومسارعة في إرضائهم، أصبحت دور السينما في العالم الاسلامي تعرض أفلام الجنس، ومؤسسات التلفزيون تنافس السينما في هذا المضمار، والكل يعرض أفلام الجريمة والعنف،

وأطفالنا وأولادنا وبناتنا يرون فيتأثرون ويشاهدون فيقلدون كيف تتمرد المرأة على زوجها وكيف تحب جارها وكيف يخون الزوج زوجته وكيف يعاشر عشيقته، ويبحّ صوت الوعاظ والمرشدين بالدعوة الى الفضيلة والتمسك بأهداب الدين، ويستمع الناس اليهم - هذا إن استمعوا - كأنها أصوات جاءت من المجهول فيكون لصوتهم صدى يلامس الآذان ولكنه لا يدخل الى القلوب ولا يؤثر في تغيير منهج الحياة. وأصبح المجتمع يعاني من الشباب المراهق الذي يقلد أفلام الكاوبوي وعصابات شيكاغو والجنس المستورد من هوليوود (وإن كان الشباب اليوم بدأوا يعودون إلى الله).

ومن المسارعة في إرضاء اليهود والنصارى إثارة النعرات القومية والوطنية والإقليمية والطائفية والمذهبية. ومن المعلوم أنّ الإسلام هو دين الله للناس كافة **(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)** فإذا اعتنقه الناس كانوا سواسية كأسنان المشط لا يتفاضلون الا بالتقوى. ومن المعلوم بالدين - بالضرورة - أن يكون للمسلمين إمام واحد وخليفة واحد يسوسهم بأحكام الإسلام ويرعاهم برعاية القرآن وسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: **«إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما»**. وحينما ذهبت دولة الإسلام وتآمر عليها اليهود والنصارى قُسّمت بلاد المسلمين الى دول ودويلات ومشيخات وإمارات، وحكام هذه الدول أو الدويلات والمشيخات والحارات كلهم ينادي بالوحدة وكلهم لا يريدها. الوحدة تعني إلغاء إمتيازات وإلغاء الجوازات وإزالة الحدود وأن تعود الأمة - كما أراد الله - أمة واحدة: **«إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»** (٩٢: الأنبياء).. فإرضاءاً لليهود والنصارى أصبحت القوميات

تتقدم على الإسلام في بلاد المسلمين وهذا قومي عربي يتعرق بالعروبة كجنس وعرق (مع أن العروبة ، بمعناها الثقافي واللغوي ، هي وعاء الإسلام ومفروض على كل مسلم أن يعرف لغة القرآن ، لأن عبادته لا تصح إلا باللغة العربية يقرأ بها القرآن).. وهذا تركي طوراني وآخر فارسي ورابع باكستاني وخامس وسادس.. ومن العجيب أنه في باكستان لما انفصلوا عن الهند بإسم الإسلام ولم يطبقوا الاسلام في حياتهم فخافوا أن تسقط حجة التقسيم فجعلوا من الإسلام قومية ، تحل محل القومية الهندية وهذا تحريف في الإسلام وتضليل للمسلمين. ولما كانت التجزئة في بلاد العرب على صورة أبشع من بقية بلاد الاسلام ركز اليهود والنصارى على تثبيتها. ففي بلاد الشام مثلاً أنشئت أربع كيانات ، أعطى قسم الجنوب الغربي من بلاد الشام (فلسطين) الى اليهود ليقيموا عليها دولتهم ، وأعطي قسم الشمال الغربي (لبنان) منها الى النصارى وأقاموا لهم فيه دولة ، هذه الدولة أو الدويلة عملت على أضطهاد المسلمين فيها مع أنهم الأكثرية الساحقة من سكانها ، وأنشئت إمارة شرق الأردن في قسم الجنوب الشرقي من ديار الشام وبقيت سوريا الأم في الجزء الشرقي من ديار الشام دولة وحدها ، وقسمت جزيرة العرب الى إمارات لا تكاد تحصى ويتيه فيها العد والمفروض أن تندمج كلها بكيان واحد كما ينبغى أن يندمج المغرب العربي الكبير بدويلاته الخمس لتكون وحدة جغرافية واحدة ، وأن تعود الوحدة الى شطري دولة باكستان وتضم اليها أفغانستان ويندمج الجميع مع بلاد إيران كما تتوحد بلاد الشام مع العراق ويتوحد الجميع مع مصر والسودان وهكذا بقية بلاد المسلمين في أفريقيا وفي آسيا. عند ذلك نكون قد أعلنا الرفض وتمردنا على التجزئة والتقسيم ورفضنا العنعنات الإقليمية والنعرات القومية

وعدنا الى محور قوتنا الإسلام يوحدنا ونكون في ظله كما أرادنا الله خير أمة أخرجت للناس.

إن الحكام الذين يتمسكون بأسباب الهزيمة والفرقة ومن لفّ لفّهم من مسؤولين ومنتفعين من الذين يسارعون في إرضاء اليهود والنصارى قد قطعوا صلتهم بالله فلم يعودوا يخافونه وإنما يخافون اليهود والنصارى. واذا سألتهم لم هذه المسارعة قالوا «**نخشى أن تصيبنا دائرة**» (٥٢ : المائدة). فهم يخافون على كراسيهم ويخافون على دنياهم وكأنهم في الدنيا خالدون ولذلك يقولون «نخشى أن تصيبنا دائرة». وهذا تصور منهم أن مصيرهم مرتبط بيد أعدائهم من اليهود والنصارى، إذا رضوا عنهم استمروا في سلطانهم وحكمهم أو في ملذاتهم وامتيازاتهم، واذا غضبوا عليهم أصابتهم الدوائر من عزل واستبدال مع أنهم لو توكلوا على الله فعملوا بما يرضي الله وتوحدوا على كلمة الإسلام، فان الله يكفيهم شر عدوهم: «**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**» (٣ : الطلاق). وما تعلقت أمة ولا فرد ولا جماعة بالله فخذلها الله. ومن خوف الحكام كان التفريط في الأرض المقدسة والعمل لتثبيت دولة إسرائيل. وكان أشد الحكام (وطنية) أو (تطرفاً) ممن والى اليهود والنصارى ينادي بقرارات التقسيم ثم توالت الهزائم وسقطت قطع أخرى في أيدي العدو وبدأ أشدهم تطرفاً ينادي بإعادة ما أخذ عام ١٩٦٧، أو بالأحرى ما سلم عام ١٩٦٧ حيث لم تحدث معركة حقيقية على جميع الجبهات المحيطة بدولة اليهود. وبدأت المطالبة تتقلص حتى وصلت الى كامب ديفيد حيث رأينا حاكماً، ممن والى اليهود والنصارى، يعطي فلسطين كلها لليهود والى الأبد (حسب تخيله) وكل ذلك لأنه يخاف على الترف الذي يعيشه والنعيم الذي

بحياه، وهو في خوفه الدائم يخاف الحرب ويريد أن يمنع عن الأمة الاستشهاد ويعلن إلغاد الجهاد متحدياً بذلك ربنا وعقيدتنا حيث الجهاد فريضة من فرائض الإسلام، وهو ذروة سنام الإسلام جعله الله مكرمة للمسلمين حتى يستشهدوا وينعموا في جنات نعيم. ولقد أمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن يستمر الجهاد الى يوم القيامة حيث يقول: (**الجهاد ماضٍ الى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر**). ويقول الله تعالى «**كُتِبَ عليكم القتال وهو كُره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون**» (٢١٦ : البقرة). وتوهم هذا الحاكم أنه يستطيع أن يقامر على عقيدة الأمة وكتاب الله وحضارة الإسلام وأن يجعل أمتنا أرقاماً تافهة وعقولاً فارغة وأن يغرقها في المتع الرخيصة والحياة المهترئة وأن يفكك الأسرة ويحرم علينا الجنة حيث الجنة محرمة على الأذلاء يقول الله تعالى: «**إن الذين توفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من النساء والرجال والولدان، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوّاً غفوراً**» (٩٧ – ٩٩ : النساء). ويتساءل سائل: أين يهاجر المسلم اليوم وقد انحرف الحكم بالاسلام في كل بلاد المسلمين فنقول له: إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أجاب عن ذلك بقوله: (**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادونية**). وهذا الحاكم، الذي قامر بحضارة المسلمين، أصابه الغرور فصدق تصفيق الجماهير التي ساقها أعوانه لتصفق له وظن أن هذه الجماهير تؤيده حقيقة وهي جماهير مسكينة لا تدري ماذا تفعل، تُساق الى المذبح

وهي تصفق، ويُتآمر على مصيرها وهي ترقص. وصدق الله العظيم: **«أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون. إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا»** (٤٤ : الفرقان)، وإلا فهل هناك عاقل من المسلمين المكلفين شرعاً يخرج ليستقبل أعداءه من اليهود هاتفاً بحياتهم وحياة زعمائهم الذين اغتصبوا أرضه وأذلوا قومه وهتكوا عرضه ودمروا المدارس بأطفالها وحرقوا القرى بمن فيها، وبقروا بطون الحبالى ولم يتورعوا عن بقر بطون الأطفال.. هذه الجماهير التي كم صفقت لقاتليها ورقصت لذابحيها، على استعداد لأن تصفق لكل قادم وعلى استعداد لأن تلعن كل ذاهب، وهي بين التصفيق وبين اللعن معرضة عن ذكر الله، وبذلك أصابها العمى: **«ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال: ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تُنسى»** (١٢٤ – ١٢٥ : طه).

وهذه الجماهير لا تؤمن بالله إلا وهي مشركة ولكل فرد منها معبود مع الله فهذا يعبد الزعيم وهذا يقدس أقوال الحاكم وهذا يطوف بقبر ولي أو غير ولي وذاك يعبد المال أو المتاع وآخر يعبد الشيخ وآخر يعبد الحزب.. وهذه الجماهير المسكينة التي ضللتها زعامتها وخانها علماؤها من أعوان الحكام الذين باعوا آيات الله بثمن قليل من منصب تافه أو عرَض زائل..

ولقد أثبتت أحداث إيران أن الجماهير اذا رأت في علمائها إعراضاً عن الدنيا وترفعاً عن الدنايا وابتعاداً عن أبواب السلطان وقرباً من الله أسلمت لها القياد وقامت تضحي في سبيل الله ولا تخاف الموت وتهزم أعتى الحكام وتزيل من الأرض (كسرى) الذي أعلن الحرب على الله فأذله الله.

بينا فيما سبق كيف أن الموالاة بين اليهود والنصارى لم تحدث الا في هذا القرن عداوة لله ولرسوله وللمسلمين، وكيف أنهم تعاونوا على إقامة دولة اليهود مع أنهم كانوا يضطهدون بعضهم بعضاً أو بالأحرى كان النصارى يضطهدون اليهود. وبينا أن فئة أصلها مؤمن تعاونت مع اليهود والنصارى في ضرب الأمة وتمزيقها والمعاونة لإقامة دولة اليهود، وبينا كيف سارعت هذه الفئة بعد أن تحولت الى منافقة – في قلبها مرض – والى إرضاء اليهود والنصارى، وأن الفئة الباغية استمرت في بغيها وضلالها مما جعل الفئة القليلة النادرة من المؤمنين في حيرة من أمرهم حيث الفئة الحاكمة المتسلطة على بلاد المسلمين ارتد أكثرها حينما والت اليهود والنصارى: **«ومن يتولهم منكم فإنه منهم»** (٥١ : المائدة). فأخذت الفئة القليلة المؤمنة تتطلع نحو السماء وتسجد متضرعة الى الله. ومن هذا الوضع اليائس تأتي الآيات التي نحن بصددها فتعطي أملاً للحائرين وتبشر المؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى سيغير الأمر بحكمته حيث يقول: **«فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين»** (٥٢ : المائدة). وعسى للترجي ولكنها في حق الله لليقين. والفتح هنا الفصل والحكم، كما قال الله تعالى: **«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين»** (٨٩ : الأعراف). أي إفصل واحكم.. إذ أن الآية تتحدث عن الموالاة بين اليهود والنصارى حيث لم يكن اليهود والنصارى في مكة، ولم يحدث تعاون بينهم. وأيضاً: هذه الآية قد نزلت بعد فتح مكة، لأن سورة المائدة من أواخر سور القرآن نزولاً فقد روت عائشة، رضي الله عنها، قالت: «آخر ما نزل من كتاب

الله سورة كاملة سورة المائدة فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها». وليس المراد فتح بلاد المشركين، كما قال بعض المفسرين أيضاً، إذ أن عملية الفتح الإسلامي بدأت في بلاد الوثنيين والصابئة كبلاد فارس والهند أو في بلاد النصارى كبلاد الشام ومصر. ولم يكن هناك تعاون في أثناء الفتح الاسلامي بين اليهود والنصارى، ولذلك تعين المعنى أن الفتح هو الفصل والحكم وأن الله سيفصل في الأمر بين الفئة المؤمنة وبين المتسلطين من الحكام على بلاد المسلمين الذين تعاونوا مع اليهود والنصارى.

وفي الآية إشارة الى أن أرضاً من أرض الإسلام ستسترد من اليهود والنصارى بعد أن استولوا عليها حيث سيفتحها الله على أيدي المؤمنين: **«فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده»**. و(أو) هنا ليست للتخيير، لأن (أو) معانيها ثلاثة فهي تأتي للتخيير، أو لمجرد العطف، أو للإباحة. و (أو) هنا لمجرد العطف حيث التخيير في حق الله لا يجوز لأن الله يعلم ما يريد. ولذلك يتحدث الله في الآية عن فتح وأمر من عنده يغير واقع المسلمين المرير ويفسد به على الفئة التي والت اليهود والنصارى أمرها.

والفتح الذي أشارت اليه هذه الآية سيأتي قريباً باذن الله. وأمر الله بدأ يمهد الدرب للنصر المرتقب وعلامته هذه الظاهرة العجيبة التي بدأت في كل بلاد المسلمين بعودة الشباب المثقف الى الإسلام فجأة بعد أن يئس من الايديولوجيات المستوردة - والتي ما رأت الأمة في ظلها الا الهزائم المتلاحقة والتجزأة والفرقة - ففكر تفكيراً جيداً فاهتدى الى الله، وأصبحت هذه الظاهرة موضع بحث في العالم الكافر كله وفي العالم الإسلامي أيضاً. ولقد أصدر الرئيس الامريكي كارتر الى رجال مخابراته أمرا بدراسة هذه

الظاهرة وألفت كثير من الجامعات لجانا لدراسة هذه الظاهرة، وهم يعلمون أن الأمر يتعلق بمرحلة أخبرت عنها الآيات والأحاديث وصدق رسول الله الذي قال: **«قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»**.

وهذا التغيير من ظواهره أيضاً فشل الكمالية والكماليين بعد خمسين عاماً من الجاهلية التي أراد بها مصطفى كمال (أتاتورك) - بوصفه اليهودي مجهول الأب - أن ينزع الإسلام من تركيا أو ينزع تركيا من الإسلام نهائياً وإلى الأبد. ولكن الشعب التركي المسلم الذي انخدع قسم كبير منه في أول الأمر بالكمالية والكماليين حيث عمل اليهود والنصارى على إضفاء صفة البطولة على مصطفى كمال وأنه ينقذ تركيا من الاستعمار، رغم أن مصطفى كمال لم يكن بطلاً ولا شبه بطل، ولكن بعد أن سلم سوريا في الحرب العالمية الأولى الى الحلفاء في عملية انسحاب خسيسة، وكان قبلها قد شارك في تسليم طرابلس الغرب سنة ١٩١١ الى ايطاليا، واستطاع أن يصل بدهائه وغدره وخيانته وبمعاونة الغرب الى قيادة الجيش العثماني الذي حارب الحلفاء بعد دخوله تركيا، وفي هذه الأثناء تمت الصفقة اذ أُظهر آخر الخلفاء العثمانيين (عبد المجيد خان) بمظهر الخليفة المستسلم الضعيف المتعاون مع الأعداء في اسطنبول، وأُظهر مصطفى كمال كبطل التحرير الوطني، فكان أن انسحب الحلفاء من تركيا مقابل ما أعلنه أتاتورك فيما بعد وهو أن يلغي الخلافة الى غير رجعة ويعلن تركيا دولة علمانية ويلغي الأحرف العربية وأن يجعل الأذان باللغة التركية وأن يمحو كل مظهر إسلامي في الحياة التركية. وهكذا سارت الأمور وأصبح أتاتورك معبود الجماهير المضللة في تركيا وخارج

تركيا باعتباره بطلاً وطنياً. ولكن عقيده الشعب التركي المسلم كانت أقوى من المؤامرة وأصلب من الخداع فسرعان ما بدأ يستيقظ على الحقيقة المخيفة فأدرك أن أتاتورك لم يكن بطلاً وطنياً ولا زعيماً ملهماً ولا قائداً حكيماً، وإنما كان محطِّم أمة ومشوِّه تاريخ وعدواً لله ولرسوله وللمؤمنين، وأنه كان ألعوبة في أيدي اليهود والنصارى وأنه كان من يهود الدونمة، الذين هاجروا من اسبانيا بعد خروج المسلمين من الأندلس واستقروا في سالونيك وتظاهروا بالإسلام وأخفوا الكفر وأسسوا المحافل الماسونية وعملوا بدهاء وصبر - بعد أن وصلوا إلى أعلى المراكز باسمائهم الإسلامية - على تحطيم الدولة وذهاب الخلافة. وظن الناس، وظن اليهود والنصارى، أن تركيا قد انتهى الإسلام بها أو انتهت من الإسلام، ولكن الأمر كان على غير ما يتوقعون.. فعقيدة الشعب المسلم ممتدة في جذور عميقة في نفسه والإسلام هو حياته، وهو عاداته، وهو مجده، وهو انتصاراته، وهو استشهاده، ولذلك فإن بقايا الأحزاب التي أقامها أتاتورك حينما تريد أن تخدع الشعب وتنافق الشعب يحمل زعماؤها المصاحف ويقبلوها أمام الجماهير المسلمة ليستمروا في خداعها. ولكن كل ذلك الى حين فسينكشف أمرهم كما انكشف أمر أتاتورك. ولقد أحس المرحوم عدنان مندريس بالشعور الحقيقي للشعب التركي المسلم وأنه لم يستطع الدستور العلماني الذي وضعه أتاتورك، ولا الكبت، ولا الإرهاب، ولا تغيير الحروف العربية للغة التركية الى الحروف اللاتينية والتي أراد بها أتاتورك وأعوانه والمخططون من ورائهم اليهود والنصارى أن يقطعوا صلة الشعب التركي بتراثه وتاريخه وبعقيدته وبإسلامه وبأدبه وحضارته وشعره ونثره (إذ منذ أن قامت دولة السلاجقة الأتراك ثم الدولة العثمانية التركية كتبت حضارتها بالحروف العربية بالإضافة الى شروح

القرآن والأحاديث النبوية وكذلك كتب القصة، والأدب) فأرادوا أن يقطعوه عن كل ذلك، ولكنه لم ينقطع إذ بقي القرآن كتاب الله وحده يتحدى الظلم والدساتير والبطش والإرهاب، فكان المسلم التركي – وكل الأتراك مسلمون – يضطر الى أن يقرأ القرآن بلغته العربية حتى يستطيع أن يصلي.. وأخيراً أعاد مندريس، بعد أن شعر بحقيقة الشعور الإسلامي، أعاد الأذان باللغة العربية وفتح المعاهد والكليات في مختلف الولايات التركية لتدريس الشريعة الاسلامية باللغة العربية وبنى المساجد، فخاف الغرب أن يعود الإسلام مرة أخرى مؤثراً في حياة تركيا.. هذا الإسلام الذي جعل الشعب التركي يأخذ البلقان كله ويقف على أبواب فيينا وقبل ذلك جعله يأخذ القسطنطينية من أيدي الصليبيين لتصبح مدينة المآذن والمساجد بعد أن كانت مدينة النواقيس والكنائس، فأسرع الغرب لعمل انقلاب ضد عدنان مندريس، رحمه الله، وقتله وأعدمه، ولكنه لم يستطع أن يعيد الأذان الى اللغة التركية بل بقي باللغة العربية، ولم يستطع أن يلغي المعاهد التي أنشأها لتعليم الشريعة الإسلامية بل زادت واتسعت حتى كادت تبلغ الثلاثمائة بالإضافة الى ستة معاهد عليا وكليتين جامعيتين، وبدأ الشعور الإسلامي ينفض الغبار وينفك من الأسار ويفتح عينيه على الحقيقة، فإذا حزب اسلامي (حزب السلامة) يدخل الحياة النيابية على أساس الحكم بالإسلام والعودة بالاسلام ويقيم هذا الحزب مؤتمراً للسيرة النبوية في اسطنبول يدعو اليها عدداً من العلماء والمفكرين من أنحاء العالم الإسلامي. ولم يكن عقد هذا المؤتمر بالسهولة الميسورة إذ أن الكماليين واليساريين حاولوا جهدهم أن يمنعوه ولكنه انعقد في عاصمة الخلافة، ولمّا يمض على موت أتاتورك أربعون عاماً. وصدق الله العظيم حين قال: **﴿إن الذين كفروا ينفقون**

أموالهم ليصدوا بها عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغَلبون» (٣٦ : الأنفال). ولقد رأينا في اسطنبول صبية في عمر الورود في الثالثة عشر والرابعة عشر من عمرهم يحفظون القرآن غيباً ويتلونه وهم يستشعرون العزة والروحانية والخشوع لله.

وهكذا بدأ مارد الإسلام يَتَمَلْمَل وينفض غبار التاريخ تمهيداً لعودته الى قيادة المسلمين وتوحيدهم ولمّ شملهم ثم ينطلق لينقذ البشرية من جحيم حياتها ومن انهيار القيم فيها وليعيد الهدوء الى نفوس الناس والاستقرار والطمأنينة.. هؤلاء الناس المساكين الذين يبحثون عن المخلص، فلم يجدوه في الكنيسة وطقوسها الوثنية فكثرت الأديان وكثرت الآلهة وكثر الكذابون والدجالون. وما قصة معبد الشعب في غيانا حيث أمرهم نبيهم المزعوم أن يسمموا أطفالهم ثم يقتلوا أنفسهم إلا عملية تمثل انهيار الحضارة الغربية والنصرانية الغربية وبشاعة الرأسمالية أبشع تصوير.

والواقع أن المسؤولية في هذا كله تقع علينا معشر المسلمين، فنحن أصحاب الكتاب الأخير وأتباع النبي الخاتم والذين جعلنا الله خير أمة مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»** (١١٠ : آل عمران).

ولكن كيف يتم ذلك وكيف نقوم بذلك و«المنكر» في بلاد المسلمين أصبحت له قوانينه وتحميه الأنظمة وتدافع عنه الجيوش، و«المعروف» في بلاد المسلمين مضطهد أهله، محارب أصحابه.. يتهزأ به في مجالس وصالونات الذين صنعوا الهزيمة، وما رأينا على أيديهم الا الذل والسخيمة.

ولكن هذا المنكر والأنظمة التي تحميه والقوى التي تدافع عنه هو مرض عارض في تاريخ أمتنا، عوقبنا به ولن يستمر طويلاً! إن الأمة بدأت تتعافى من المرض، وتصحو من الغيبوبة، وتستيقظ على الحقيقة. ولا أعني بالأمة، كما قلت سابقاً، هذه الجماهير التي تشغلها لقمة العيش عن التفكير وليس لديها المقدرة على التحليل، وهي تأخذ الأمور بظواهرها، ويسوقها حكامها الى حتفها وهي تضحك، والى المجزرة وهي تصفق، والى الهزيمة تلو الهزيمة وهي تهتف للزعيم أو تقدس الحزب.. وإنما أعني بالأمة القلة الواعية والفئة المؤمنة التي بدأت تعود الى القرآن، تستفيق فينير لها جنبات قبرها ويضيف لها ما يقع عليه بصرها.. هذه القلة التي عناها الله بقوله: **«ثُلّةَ من الأولين وقليل من الآخرين»** (١٣ : الواقعة)، وقوله تعالى: **«وثُلّةَ من الأولين وثُلّةَ من الآخرين»** (٣٩ – ٤٠ الواقعة).

فإذا عرفتْ هذه الفئة أو الثلة كيف تأخذ الزمام، وتمسك بالخطام، عادت أمتنا سيرتها الأولى، تصعد المجد من جديد، تحت راية واحدة وقيادة واحدة، وتدخل مع الكفر في المعركة المحتومة: **«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»** (٣٣ : التوبة)، **«والله متمّ نورَه ولو كره الكافرون»** (٨ : الصف).

وما أحداث إيران ويقظة الشعب المسلم فيها ورفضه للجاهلية التي فرضت عليه بتمجيد النار وعبادتها والتي كانت تحكم بها إيران قبل الإسلام وقد تمثل ذلك باحتفال القرن، الذي أقيم منذ سنوات إحياءاً بذكرى (كوروش) مؤسس الدولة الفارسية الأولى.. هذه الحفلة التي كان فيها تحدٍ لمشاعر الشعب الإيراني المسلم والتي تقرر من أجلها إلغاء التاريخ الهجري

وإبداله بتاريخ كوروش (الفارسي) ووقف الشاه في الحفل مخاطباً كوروش : «لقد أحييتك الى الأبد ولن تموت بعد اليوم».

وقد أثبت علماء المسلمين في إيران أنهم يخشون ربهم ويخافون عذابه، فقاموا يجأرون في وجه الطاغية : «نريد حكم الله»، «نريد حكم الإسلام».. وكان الطاغية يظن أنّ الأمر قد استتب لأفكاره الكافرة التي تنادي بالقومية الفارسية، المفصولة عن الإسلام، فجعلته - هو والملأ من حوله - يبيح المحرم في قوانينه وأنظمته من ربا وخمر وميسر وظلم ونهب أموال المسلمين وتهريبها الى بنود اليهود والنصارى. وكان الشاه حليف اليهود في فلسطين - أرض الإسلام - وكان يقيم معهم علاقة اقتصادية وثقافية وعسكرية ويمدهم بالطاقة (النفط) التي بواسطتها قتلوا النساء والأطفال والرجال، فهو شريك في كل دم أريق في فلسطين ومصر وسوريا ولبنان والأردن من عام ١٩٥٦ والى هده اللحظة. وكان ينفق الأموال على شراء الأسلحة وتكديسها. وكان عزله أو إسقاط نظامه مستحيلاً أو ما يشبه المستحيل. ولكن هيأ الله للمسلمين في إيران، بل وللمسلمين في كل مكان، هذا الشيخ الجليل العالم (الخميني) الذي لم يصبر على طغيان الشاه وكفره وظلمه وحمايته لليهود والبهائيين، فغذّى شعب إيران بأفكاره ونشرها في طول البلاد وعرضها وآمنت معه طائفة من العلماء فوضعوا الشهادة نصب أعينهم فتحركوا وتحرك تلاميذهم وقامت الثورة العارمة وقدم شعب إيران المسلم آلاف الشهداء، وسقط الشاه، فسقط بسقوطه في إيران اليهود والبهائيون والماسونيون والقوميون وسقط معه الربا والزنا ودواعيه والخمر والميسر والإعلام الفاجر والرشوة والسرقة، وسقط معه الفكر الكافر كله

وانقطع المدد عن دولة اليهود وتحولت سفارتها في إيران إلى سفارة فلسطين.

وهذا كله من أمر الله التي أشارت اليه الآية (٥٢ : المائدة) وتمضي الآية فتقول : «**فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**». وبدأ الشاه يندم، ولات ساعة مندم، وسيلحق الندم الكثير ممن والوا اليهود والنصارى.

وحين يتكشف الأمر وتنكشف الحقيقة سيعرف الناس أن هذه الأحزاب وهؤلاء القادة صُنِعوا بليل التآمر وفي دهاليز السفارات وعلى أيدي المخابرات الأجنبية.. وذلك الحاكم الذي يريد من الإسلام أن يقف في وجه الشيوعية والاشتراكية بحجة أن الشيوعية إلحاد، وأن الاشتراكية كفر - وهي كذلك - فاذا طولب بأن يمنع الربا في قوانين بلاده وهو حرام في الإسلام أو أن يحرم الخمر والميسر أو أن يمنع الاحتكار، أو أن يمنع الظلم والتبذير والسفه قامت أجهزته، والتي يبطش بها، تقول : هذا تدخل من الدين في السياسة! وإذا طولب بحرب اليهود ومعاداة من يواليهم (وهم أشد عداوة لله من الشيوعية وخطرهم جاثم يريد استئصال الأمة والدين، وخطر الشيوعية محتمل) تمسك بالعقلانية والاعتدال، وهو بهذا يغالط نفسه ويهرب من الحقيقة وهو أن هذا الدين أنزله رب العالمين ليسوس الناس به أنفسهم، فالدولة في نظر الإسلام خليفة يطبق الشرع.

أقول حينما تتكشف الحقائق سيندم كثير من الناس من الفئة المؤمنة على الأصوات التي كانوا يرافقونها لتحية هذا الزعيم أو ذاك الحاكم، ويعضّون الأيدي التي كانوا يصفقون بها ويحيّون بها ذاك الزعيم أو ذاك الحاكم، لأنها حينما تتكشف الحقائق فستنكشف فيها صفحات من التآمر والخداع والخيانة

والتدنيس، فيصبح هؤلاء الحكام الذين خانوا ودنسوا نادمين على ما فعلوا ولكن ولات ساعة مندم.

ثم تمضي الآيات: **«ياأيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه»** (٥٤: المائدة)، فيوالي اليهود والنصارى وينصرهم على أمته، فيعتقد بعقيدتهم بأن الإسلام يجب أن يبعد عن الحياة وأنه لا مكانة له في الدنيا إلا في مسجد أو زاوية أو طريقة صوفية منحرفة أو احتفالات في مناسبات دينية ليس لها سند من شرع أو دين، أو احتفالات في موالد وثنية تقام حول بعض القبور، تنقر بها الدفاف وتضرب فيها الطبول.. فاذا سارت بهؤلاء القوم الذين ارتادوا الغواية الى نهايتها فيهدد الله سبحانه وتعالى بأنه: **«فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين»**.
وللمفسرين هنا ثلاثة أقوال، فبعضهم قال: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه المراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله للمرتدين. وقال بعضهم: المراد الأنصار، وقال آخرون: المراد أهل اليمن من جماعة أبي موسى الأشعري (الأشعريين).

والأقوال الثلاثة مردودة للأسباب الآتية:
أولاً: الآيات تتحدث عن الموالاة بين اليهود والنصارى وعن الذين سيوالونهم من المؤمنين. وأبو بكر رضي الله عنه قاتل المرتدين من المشركين. ونزلت الآيات وأبو بكر موجود. والآية تتحدث عن مستقبل بعيد. (فسوف) للمستقبل البعيد.

ثانياً: نرد على من قال بأن المراد بهم الأنصار: أن سورة المائدة هي

آخر سور القرآن نزولا في المدينة ، وكان أهل المدينة قد نالوا شرف النصر ، وحملوا هذا اللقب العظيم قبل نزول سورة المائدة ، والآيات هنا تتحدث عن مستقبل بعيد..

ثالثاً : أما من قال أن المراد هنا اليمنيون من جماعة أبي موسى الأشعري ، فهؤلاء كانوا فئة قليلة اندمجت مع المهاجرين والأنصار وينطبق عليها ما انطبق على الأنصار ، ولذلك فان الإمام المفسر القرطبي يورد قولاً بأن الآية **«فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه»** لم تنزل للمؤمنين في عهد نزولها وإنما هي آية مستقبلية.

وهنا تأخذ الآيات في وضع صور متقابلة بين الفئة التي ارتدت ووالت اليهود والنصارى والفئة التي يأتي بها الله لمحاربة اليهود والنصارى :

أولاً : أحباب الله من المؤمنين الذين سيأتي الله بهم. صفاتهم **«أنهم أذلة على المؤمنين»** (٥٤ : المائدة) ، يرعون المؤمنين حق الرعاية كالأم لإبنها والوالد بولده ، فهم أذلة على المؤمنين بخلاف الفئة التي والت اليهود والنصارى فهم أذلاء بين يدي اليهود والنصارى يتملقونهم ويتوددون إليهم ويخافون منهم **«نخشى أن تصيبنا دائرة»** (٥٢ : المائدة). والذلة هنا ليست عقبى الهوان وإنما عقبى الانقياد كالجمل الذلول.

ثانياً : وأحباب الله الذين سيأتي بهم الله لإنقاذ الإسلام والمسلمين أعزة على الكافرين لا يخافونهم ولا يخشونهم ولا يسعون الى مراضاتهم لأنهم ربطوا أنفسهم بالله وطلبوا العون من الله وساروا على درب نبيهم ، صلى

الله عليه وسلم، حينما كان لا يفتر عن ذكر الله وكلما اشتدت عليه الأزمات استغاث بالله. قال تعالى: **«إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم: إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى، ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله. إن الله عزيز حكيم»** (٩ : الأنفال). فمن كان الله معه كان النصر في ركابه.

ثالثاً: صنّاع الهزيمة ممن والوا اليهود والنصارى، فأعلنوا أنهم لا يريدون الجهاد حرصاً على حياتهم الدنيا، وتمسكاً بمناصبهم الفانية، وإمعاناً في إذلال أمتهم وتحدياً لله ولرسوله وللمؤمنين. وأما أحباب الله فسيأتون ليعلنوا الجهاد وليقاتلوا الكفار من اليهود وغير اليهود، يطرقون أبواب الجنة برؤوس أعدائهم. واليهود والنصارى يخشون هذه الفئة من أحباب الله، لأنها ما قاتلتهم في التاريخ الا وانتصرت عليهم، وكأنهم يحسون بقرب قدومها.. ولذلك يقول وزير دفاع اليهود (وايزمان): «نريد أن ننتهي من الإسلام الذي يقول للمسلم: إن قتلت يهودياً دخلت الجنة وإن قتلك يهودي دخلت الجنة». وهذا فهم صحيح للجهاد من عدو الله. قال تعالى: **«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله، فَيقتُلون ويُقتَلون، وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومَنْ أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به»** (١١١ : التوبة).

والأمة الإسلامية، الجهاد حياتها، والجهاد تاريخها، والجهاد ذروة سنام دينها، وقدرها أن تستمر في المعارك، تحمل الإسلام وتنشر الدين، فإن تركتْ الجهاد لم يتركها عدوها تستريح وإنما داهمها في ديارها، وهي كلما قربت من الله بتطبيق الإسلام في جهادها كان الله معها وكلما بعدت عن الله تركها لنفسها، فلا تنتصر الا إذا عادت اليه.

والجهاد لا يجوز إبطاله. لا يقول بإبطاله الا كافر أو منافق أو فاسق، ولذلك يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة لا يُبطِله عدلُ عادل ولا جور جائر واذا استُنْفِرتُم فانْفِروا».

إن أحباب الله يجاهدون في سبيل الله أما المرتدون ممن والوا اليهود والنصارى والحالمون بالحلول السلمية، النائمون على الوعود الدولية، الواثقون من «الرأي العام العالمي»، فهم يخافون من الجهاد ولذلك عمد الرئيس المرتد أنور السادات في اتفاقيته الخاسرة الى اليهود فأعطاهم كل شيءٔ مقابل إلغاء الجهاد.

فلما قطعت إيران المسلمة البترول الذي كان يورده الشاه الى دولة اليهود، بادر هذا المرتد في إعطاء اليهود ما يمكّنهم من ذبح المسلمين به. وردّوا إليه سيناء بدون سلطة له عليها، محرم على جيش مصر أن يدخلها، أما اليهود فسيبقون على الحدود تنشئ لهم أمريكا النصرانية الحاقدة مطارات لينتقلوا منها الى مصر متى يشاءون لا يقف أمامهم جيش. وأعطى الرئيس «المؤمن جداً» القدس لليهود والمسجد الأقصى لليهود ويافا وحيفا والجليل والنقب والسهل والجبل، بل أعطى الأرض المباركة كلها بما فيها من أنبياء ورسل وقداسة، الى اليهود.. وهو بذلك يظن أنه يصنع التاريخ ويعلن بلا حياء ولا خجل حين وصوله الى واشنطن، عاصمة الكفار في الأرض: أن يوم توقيع معاهدة الردة هو يوم تاريخي.

ومن العجيب الغريب أن التاريخ يعيد نفسه في هذه المعاهدة، ففي الحروب الصليبية قام حاكم مصر «شاور» بالاستعانة بالصليبيين وعقد معهم

معاهدة كمعاهدة خلفه «أنور السادات» وجعل جيش مصر يقاتل مع الصليبيين قوات المسلمين الزاحفة من ديار الشام بقيادة شيركوه وابن اخيه صلاح الدين. وكان هذا عند قرب نهاية الدولة الصليبية إيذاناً بذهاب دولة الفاطميين.

إن الإرهاصات التي بدأت تَظَهر في ديار المسلمين مقدمة لمجيء أحباب الله من القياديين حتى يقودوا الأمة في معركة الجهاد واستئصال دولة الكفر.

هؤلاء القياديون حينما يأتون سيكونون موضع استغراب الناس، كما كان آية الله الخميني موضع استغراب وتعجب عند كثير من الناس، وخصوصاً خارج إيران، إذ برز الى الساحة دون مقدمات معلنة.. فيجيب الله المتسائلين عن هؤلاء الأحباب: **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»** (٥٤: المائدة).

وأحباب الله الذين أحبوا الله ورسوله هم الذين يقول فيهم الرسول، صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما». الله أحب اليهم من أنفسهم ومن أموالهم ومن أولادهم ومن مناصبهم: **«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين»** (٢٤: التوبة).

ومن المؤلم للنفس المؤمنة أن بعض العلماء في مصر ممن تولوا ويتولون مناصب رئيسية في الازهر والأوقاف قد سايروا حاكم مصر المرتد وزينوا له

عمله ، فإن كانوا طائعين في ذلك فقد ارتدوا ، وإن كانوا مكرهين في ذلك فقد أثموا وقاربوا الردة وأصبحوا شبه عار في تاريخ العلماء ، باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم فأصبحوا من السفلة : **«أتخشون الناس والله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين»** (١٣ : التوبة) .

ثم الولاء بعد الله يكون لرسوله . والولاء لرسوله يقتضي الحب الكامل لشخصه الشريف كما ورد في الحديث : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما» . والرسول جاء بالوحي المتلو وهو (القرآن) ، وبالوحي غير المتلو وهو (السنة) فاذا قام حاكم من هؤلاء الحكام الذين جاءوا بليل فقال : إني لا اعترف بالسنة وأعترف بالقرآن فقط ، فهو بعمله هذا قد كذب ماجاء به القرآن – حسب زعمه – والله يقول : **«ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»** (٧ : الحشر) .

إذن السنة وحي : **«قل : إنما أنا بشر يوحي الي»** (١١٠ : الكهف) ، ولكنه وحي لم ينزل بلفظه ، وهي جاءت موضحة للقواعد الكلية في القرآن وشارحة للتفاصيل بكل ما قاله الرسول أو فعله أو نهى عنه أو أمر به أو سكت عن عمل أمامه ، فهذا من الوحي . فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذي حدد عدد الصلوات وركوعها وسجودها وقصورها ، ثم صلاها أمام المسلمين وأمّهم بها وقال : «صلوا كما رأيتموني أصلي» .

فمن أنكر ركعتي صلاة الفجر الفرض فقد أنكر ما علم من الدين بالضرورة وبالتالي يكون قد كفر ولو زعم الإسلام . وكذلك فعل الرسول في مقادير الزكاة على الأموال وفي تفصيلات الحج ، وكان يقول : «خذوا عني مناسككم» .

ثم يكون الولاء بعد ذلك للمؤمنين، والولاء للذين آمنوا يقتضي أن لا تناصر غير المؤمنين عليهم كما فعل الرئيس المرتد، فهو بوثيقة الردة التي وقّعها خان المؤمنين، خان نساءهم وأطفالهم ورجالهم، خان الذين كانوا يتأملون الخلاص على يديه، فاذا هو يكتّفهم ويرميهم الى عدوهم يفعل بهم ما يريد: **«لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله»** (٢٢: المجادلة). والسادات اتخذ من اليهود والنصارى أصدقاء وأحباباً، وتخلى عن المؤمنين.

إن احباب الله الذين والوا الله ورسوله والمؤمنين بطبيعتهم، يعبدون ربهم فيقيمون الصلاة في أوقاتها ويؤدون الزكاة في أوقاتها، فلا يقضون ليلتهم يتبادلون النساء في الرقص كما فعل زعماء الهزيمة ويفعل صاحب وثيقة الردة. وهؤلاء حينما يلتزمون جانب الله يصبحون من «حزب الله» ويقابلهم «حزب الشيطان» فكل من آمن بالله ورسوله وشهد الشهادتين وكفر بأعداء الإسلام ولم يوال اليهود والنصارى هو من حزب الله وأما حزب الشيطان فهم حزب واحد سواء أكانوا عرباً لا يؤمنون بالإسلام، وماسونيون، وقوميون علمانيون، واشتراكيون علمانيون، وشيوعيون ملحدون، ورأسماليون ماديون، يؤمنون بفصل الدين عن الحياة. فالماسوني الغربي هو شقيق للماسوني العربي، والشيوعي العربي هو شقيق للشيوعي اليهودي، واليساري العربي الذي يؤمن بالصراع الطبقي في محاربة اليهود ولا يحاربهم كغزاة وككفار هو شقيق لليساري اليهودي، حتى اذا وصل اليساري اليهودي الي الحكم في دولة اليهود تخلى اليساري العربي عن قتال اليهود. يجب أن يُنظر الى حزب الشيطان بنظرة واحدة بلا تمييز، فالله تعالى يقول:

«والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (٧٣ : الأنفال) .

ولكن يجب أن نميز بين الكفار فكافر قاتلنا وأخرجنا من ديارنا وظاهَر على إخراجنا فهذا يجب أن نعاديه وألا نواليه ولا نحسن اليه ، كاليهودي في فلسطين وكبريطانيا وأمريكا . أما الذين لم يسيئوا إلينا ولم يخرجونا من ديارنا ولم يُظاهروا على إخراجنا فهؤلاء نحن مأمورون بان نحسن اليهم وندفع عنهم الأذى ونقاتل في سبيل حمايتهم . يقول الله تعالى : **«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم . إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»** (٨ - ٩ : الممتحنة) .

وتقتضينا هذه الآية : ألا نحترم مصالح الدول التي عاونت على إخراجنا من ديارنا وألا ندعم اقتصادها ، فاليهود ليسوا بأكفاء لنا في المعركة - على ضعفنا - ولكن دول الغرب ، وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ، غذّتهم بالسلاح والمال ليقتلونا وليثبتوا في أرضنا ، ولولا هذا المدد لما بقيت دولة يهود في أرضنا هذه المدة .

وبذلك فإن على دول البترول وأثرياء المسلمين الذين يدعمون اقتصاد الغرب ويودعون أموالهم في بنوكه (وهي بنوك يسيطر عليها اليهود) أن يسحبوها وإلا كانوا من الذين خالفوا القرآن ووالوا اليهود والنصارى ، وإلا كانوا شركاء في إذلال أمتهم وظالمين لها ولأنفسهم ، وشركاء في دعم دولة

للإسلام الحيّ ، طبّقوه على أنفسهم وعملوا فيما بعد على تطبيقه في أرجاء الأرض ، والناس بعد ذلك كانت تبعاً لهم ، ولكن الناس لم يكونوا على مستوى إيمانهم ولا فقههم ولا بصيرتهم . قال الله تعالى : **«قالت الأعراب آمنا ، قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم . وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً . إن الله غفور رحيم»** (١٤ : الحجرات) .

ولذلك حين توفي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اهتزّ المسلمون هزةً عنيفةً ، حتّى عمر بن الخطاب أصابه الذهول ، فلم يصدّق الخبر وقال : «إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يمت ولكنه ذهب يكلّم ربّه كما ذهب موسى يكلّم به» . ولكن جاء كبير المؤمنين وشيخ المصدّقين ، رضي الله عنه وأرضاه ، ودخل المسجد ، فلم تذهله الفاجعة عن الحقيقة باعتباره التلميذ الأول لخاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، ووقف بجانب المنبر وقال : «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت» . ثم تلا قوله تعالى : **«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وسيجزي الله الشاكرين»** (١٤٤ : آل عمران) .

وحين سمع أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الآية سلّموا الأمر لربّهم وبدأوا يتحملون المسؤولية كاملة ، وتركوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مسجّى على فراش الموت ، وذهبوا لينتخبوا الخليفة الأول ، حيث لا يجوز أن يبقى المسلمون بدون إمام يرعى شؤونهم ويتولى نشر الدعوة ويرسل الجيوش ويطبق أحكام الله في الأرض .

اليهود. وشركاء في قتل الأطفال والنساء وإرهابهم وهدم البيوت، وهم شركاء في ضم مساجد يافا وحيفا وبقية الأرض المباركة التي حوّل اليهود كثيراً منها الى مراقص وحانات للخمور.

القلة والكثرة

إن الكثرة الكاثرة من الجماهير لا يعوَّل عليها في التغيير، لأنها لا تعرف ما يضرها وما ينفعها، ولذلك هي حينما تهتف، تهتف بعقلية القطيع الذي لا يعي، وحينما ترقص، ترقص بنفسية المذبوح الذي لا يدري، وحينما تؤيِّد تُساق إلى التأييد سَوْقاً. ومن هنا خرجت علينا قضية التأييد المطلق للحاكم، أو للرأي الذي يريده، بنسبة **٩٩** وتسعات مكررة أخرى. أما الذي يَقبل بوعي ويؤمن بتبّصر فهم أهل الحل والعقد: الفئة القيادية، الواعية القليلة. هذه الفئة هي التي تتغيرّ فتؤمن بالإسلام فيغيرّ الله ما بها من جاهلية.. عند ذلك يتغير المجتمع على أيديها فيتبعها الناس. هذه الفئة القليلة هي التي تعنيها الآيات الكريمة: **«وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله»** (٢٤٩ : البقرة)، **«وقليل من عبادي الشكور»** (١٣ : سبأ)، **«ثُلَّةَ من الأوّلين وقليل من الآخرين»** (١٣ : الواقعة)، **«ثُلَّةَ من الأولين وثلة من الآخرين»** (٣٩ – ٤٠ : الواقعة).

ولما كان مجتمع الرسول، صلى الله عليه وسلم، هو المجتمع الأمثل والأكمل، فإنا نراه قد ربّى أصحابه من المهاجرين والأنصار تربية ربانية، فطهّرهم من أدران الشرك، وخلّص نفوسهم من أوساخ الجاهلية، وجعلهم نماذج تُحتَذى. فكان هؤلاء هم القادة وهم المعلّمون وهم النماذج الحية

وأما الكثرة الكاثرة من الذين «أسلموا» ولم «يؤمنوا»، فقد ارتدوا على أعقابهم كافرين، ولم يبق على الإسلام إلا ثلاثة مساجد: مكة المكرمة والمدينة المنورة والبحرين. وظنت هذه الجماهير الجاهلة وقياداتها الجاهلة أن الإسلام قد انتهى بموت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمنهم من عاد إلى جاهليته كلها، ومنهم من أنكر فرض الزكاة، وقال شاعرهم:

أطعنا رسول الله ما دام فينا

فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده

فتلك لعمر الدهر قاصمة الظهر

وبدأت «الفئة القليلة» المؤمنة من المهاجرين والأنصار، بقيادة أبي بكر الخليفة الأول، تخوض المعارك الضارية حتى تعود بالجماهير الضالة إلى رُشدها، وتحملها على خير أمرها، وتمنع عنها نجاسة الشرك من جديد. وهكذا خاض المسلمون المؤمنون الواعون من «الفئة القليلة» حرباً ضروساً مع الجماهير الكافرة الكثيرة حتى ردّوها إلى الصواب. ولذلك فإن الذين يقولون أن الإسلام «ديمقراطي» هم لا يفقهون الحقيقة. فالإسلام ليس «ديمقراطياً»، وليس «اشتراكياً»، وليس «رأسمالياً». والإسلام ليس عَلَمًا على شيء من هذه الأسماء التي اخترعها البشر. ولكنه دين ربّ العالمين. ولذلك لو اختارت «الأكثرية» نظاماً غير الإسلام وديناً غير دين الإسلام فإن ذلك لا يُقبل منها. ويجب أن تحاربها «الأقلية» – الفئة القليلة المؤمنة – لتردّها إلى دينها وإلى إسلامها. ولذلك يخطئ كثير من الحركات الإسلامية حينما تنتظر أن يتحول الشعب كله أو جُلّه إلى حمل الدعوة وأن يحمل الإسلام

كل فردٍ فيه بوعي وبصيرة وفهم وتعمق ، لأن انتظار ذلك يخالف سنة من سنن الله في المجتمعات ، إذ يكفي أن توجد الفئة المؤمنة القليلة لتتحرك بتنظيم ووعي وتخطيط فتأخذ زمام المبادرة وتقود الأكثرية الساحقة.

وقد توصل بعض علماء الاجتماع الغربيين، بعد دراسة أحوال المجتمعات البشرية ، إلى أن الذين يفكرون في تغيير أحوال المجتمع هم ١٦ في المائة من أفراد المجتمع ، والذين ينهضون بالفعل لتغيير مجتمعهم لا تتعدى نسبتهم عن ٢,٥ في المائة.. أما بقية أفراد المجتمع فهي تتبع لا غير..

ولقد روي عن الإمام على بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ، أنه قال : «الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، ومتعلم على وجه الحقيقة ، وهمج رعاع يتبعون كل ناعق».. وهذه حقيقة لا تحتمل التغيير والتأويل ، وهي سنّة من سنن الله في خلقه. فحينما أخذ الشيوعيون الحكم في روسيا لم يكن الشعب في روسيا يدري ما هي الشيوعية ، ولكن الفئة القليلة المنظمة استطاعت أن تتسلم الحكم.

وليس الأمر أمر «تطور حتمي» للمجتمعات كما زعم (ماركس) و (لينين) و (انجلز) ، لأن استلام الفئة القليلة للحكم نقض لنظرية التطور الحتمي للمجتمعات والأدوار التي تمر بها تلك المجتمعات ، إذ لو كان الأمر كما قالوا لأصبحت إنجلترا وألمانيا وأمريكا ودول الغرب دولاً شيوعية قبل الاتحاد السوفييتي والصين، لأنها مجتمعات متقدمة صناعياً ، فهي أولى بالتطور نحو الاشتراكية – حسب نظريتهم – من الاتحاد السوفييتي والصين.

ولذلك فإن الفئة المؤمنة التي صبرت على دينها وأنار الله بصيرتها فلم

تلحق بسراب المبادئ المستوردة، ولم تصفق للطغاة ولم تهتف للمتجبرين، وصبرت على طهرها فلم تنغمس في رجس الجاهلية فعبدت الله ـ وحده لم تشرك به شيئاً، وصبرت مع أحكام الإسلام وسط مجتمعات الجاهلية.. هذه الفئة عليها أن تتقرب إلى الله باستمرار وأن توحِّد نفسها وأن تُكثر من البكاء والتضرع والسجود وتلاوة القرآن الكريم وهي تعمل، علّ الله يفتح على أيديها.

اليقظة الإسلامية وتنبه الغرب لها

إن إرهاصات عودة الإسلام الى الحياة أصبحت محل دراسة الباحثين في الغرب وفي الشرق. ففي خلال العقود الثلاثة الأخيرة ضُربت الحركة الإسلامية، خصوصاً في مصر، سحقاً حتى الموت. وظن الظانون أن الأمر قد انتهى، وأن الحركة الإسلامية ذهبت إلى غير رجعة، ولكن سرعان ما خاب فألهم، وتبين مقدار جهلهم بالعقيدة الإسلامية، وكيف أنها دائماً وعبر التاريخ تصقلها الهزات وينقى حملتها الاضطهاد ويسرع شبابها الى الجنة والاستشهاد.

ولذلك فان النصارى واليهود، ومن سار في ركابهم من المسلمين، أصبحوا يدرسون هذه الظاهرة، ويخططون من أجل التغلب عليها. فقد نشرت مجلة (الدعوة) المصرية في عددها الصادر بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٨م تقريراً «سرياً للغاية» لأحد مستشاري المخابرات الأمريكية، لضرب الحركات الإسلامية وقتلها ولتفريغها من مضمونها.. «**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**» (٣٠ : الأنفال).

وقد جاء في التقرير:

«من ريتشارد متشل إلى رئيس هيئة الخدمة العامة في المخابرات الأمريكية المركزية، بناءاً على ما أشرتم إليه من تجمع المعلومات لديكم من عملائنا ومن تقارير المخابرات الإسرائيلية والمصرية التي تفيد أن القوى الحقيقية التي يمكن أن تقف في وجه (اتفاقية السلام) المزمع عقدها بين مصر وإسرائيل، هي التجمعات الإسلامية، وفي مقدمتها (جماعة الإخوان المسلمين) وبناءاً على نصح مخابرات إسرائيل من ضرورة توجيه ضربة قوية لهذه الجماعة في مصر قبل توقيع الاتفاق.

«وفي ضوء التنفيذ الجزئي لهذه النصيحة من قبل حكومة (السيد ممدوح سالم) باكتفائها بضرب (حزب جماعة التكفير والهجرة) فاننا نقترح المسائل التالية كحلول بديلة:

أولاً: الاكتفاء بالقمع الجزئي دون القمع الشامل والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية التي لا تصلح معها الوسائل الأخرى المبينة فيما بعد. ونفضل التخلص من هذه الشخصيات بطرق تبدو طبيعية.

ثانياً: بالنسبة للشخصيات القيادية التي نقرر التخلص منها ننصح باتباع ما يلي:

أ) تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التي تستنفد لذويهم. وبذلك يتم استهلاكهم محلياً وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب) العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية للمساهمة في

المشروعات المصرية – الإسرائيلية المشتركة، المزمع إقامتها بعد الصلح.

ثالثا: بالنسبة للعناصر الإسلامية الفعّالة في أوروبا وأمريكا نقترح:

أ) استنفاذ جهدهم في طبع وإصدار الكتب الإسلامية مع إحباط نتائجها.

ب) بث بذور الشك والشقاق بين قياداتهم لينشغلوا بها عن النشاط المثمر».

وهكذا فان الغرب أو العالم الكافر كله، بوجهيه الرأسمالي والاشتراكي، يخطط لضرب اليقظة الإسلامية، ويعمل من أجل انحرافها بعد أن فوجئ بها، بعد أن ظن أن الإسلام في بلاد المسلمين قد انتهى وإلى الأبد، وأن المسلمين لن يعودوا إلى إسلامهم أبداً، بعد أن أغراهم خلال المئتي عام الماضية بالعلمانية والقومية، وبعد أن ضرب من نفسه مثلاً لهم، حيث فصل الدين عن الحياة. وكان هذا جهلاً منه لطبيعة الإسلام، إذ أن الإسلام ليس فيه طبقة كهنوت ولا رجال دين مختصة بفهمه، وإنما كل مسلم مكلف بفهم الإسلام، وكل مسلم يستطيع أن يفهم الاسلام، وكل مسلم فرض عليه أن يحمل الإسلام.

هناك طبقة من علماء الإسلام، تتعمق فيه وتستنبط من أحكامه وتستخرج الحلول لكل مشكلة تجد في الحياة من نصوصه وأحكامه. لكن هؤلاء العلماء ليست لهم طقوس خاصة ولا ملابس خاصة ولا امتيازات خاصة. إنما امتيازهم في فهمهم وبمقدار علمهم.

والمسيحية ليست عندها جواب لأي سؤال يتعلق بمشكلة الإنسان أو تنظيم الحياة أو العلاقة بين بني البشر، وإنما هي طقوس أُفرغت من معناها. تصادم العقل ولا تقبلها الفطرة، ولذلك انحصرت الكنيسة في زوايا النسيان، لا تعمل إلا في التبشير في بلاد المسلمين حتى تُرجع الناس كفاراً، إن استطاعت، وتغذي أتباعها بالحقد على الإسلام وبني الإسلام، حتى لا تُقبِل هذه الشعوب الذكية على دراسة الإسلام بنزاهة، لأنها إن قرأته - وهي خالية من صورة الحقد والتشويش والتحريف - أقبلت عليه واعتنقته. ولكن رجال الكنيسة لا يريدون لأتباعهم الخير حتى يستمروا في أكل أموال الناس بالباطل وفي الضلال المبين.

الإسلام، وهل يمكن فصله عن الحياة؟

حين انخدع بعض مفكري الأمة ببريق الفلسفات الغربية المختلفة من شيوعية واشتراكية ورأسمالية ووجودية وماسونية.. حين رأوا بعض القوميات تتوحد في أوروبا كألمانيا وإيطاليا في القرن الثامن عشر، فانخدعوا بالقومية وظنوها مبدءاً يصلح لأمتهم.. أقول حينما انخدعوا بهذه الفلسفات، وظنوا أن أوروبا نهضت النهضة العلمية، حينما أبعدت الدين عن الحياة، وكانوا لا يقرأون دينهم ولا يعرفون إسلامهم، وإنما تربوا على مناهج في مدارس صنعها لهم أعداؤهم، وفي الجامعات تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتلاميذهم، وكانوا يقرأون عن الثورة الإصلاحية في أوروبا التي ثارت حينما وقف رجال الدين والكهنوت في وجه التقدم العلمي، وأعلنوها معركة بين العلم والدين. وظن بعض شبابنا أن الدين الإسلامي هو نسخة أخرى من

الدين المسيحي المحرّف، مع أنهم لو قرأوا كيف أن الدين الإسلامي هو الذي أوجد أمتهم، وقد خرجت به إلى الناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وأن كل مجد يفتخرون به هو من نتاج هذا الدين، وأن كل قائد يعتزون به هو قائد لجند المسلمين، وأن كل مفكر يشيرون إليه في تاريخ أمتهم هو مفكر إسلامي، وأن هذا الدين استطاع أن يزاوج بين الأجناس والألوان لأنه من الإله الخالق، لا يتعارض مع العلم ولا يرفض العلماء، لأن العالم الذي يكتشف، إنما يكتشف سنة من سنن الله في كونه، وكلما ازدادت معلومات الإنسان اكتشف الجديد من سنة الله: **«سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»** (٥٣ : فصلت)، وقوله: **«وفي أنفسكم أفلا تبصرون»** (٢١ : الذاريات) دعوة للبحث في التركيب الإنساني الذي لا يزال القسم الأكبر منه مجهولاً بالرغم من التقدم العلمي الذي وصل اليه الإنسان: **«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار»** (١٩٠ : البقرة).

ولذلك لم تحدث معركة بين علماء المسلمين والعلماء التقنيين في أية مرحلة من مراحل مسيرة هذه الأمة. ورغم أن القرآن الكريم ليس كتاب طب ولا فلك، إلا أنه أشار إشارات ليلفت نظر الإنسان إلى بعض مظاهر الكون، فاذا اكتشفها الإنسان وجدها أنها كما أشارت إليها الآية.

فلقد توصل العلم الحديث مثلاً الى أن القمر كان مشتعلاً كالشمس فانطفأ. وكانت الآية في سورة الإسراء قد أشارت الى هذا يوم أن نزل

القرآن على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، : **«وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيءٍ فصّلناه تفصيلاً»** (١٢ : الإسراء). قال ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في تفسير هذه الآية : «كان القمر مشتعلاً كالشمس فانطفأ». ومثال آخر: **«أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما»** (٣٠ : الانبياء). وقد توصل العلم الى الحقيقة التي جاءت بها هذه الآية وهو أن الكون كان كتلة غازية فانفجرت فتكونت الأفلاك والسماوات والأرض بشكل منظم دقيق. قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : «كانتا رتقاً : كانتا متصلتين فانفصلتا»..

فليس في العلم اليقيني ما يعارض الإسلام أو يمنعه الإسلام ، لأن العلم من خلق الله والكون من خلق الله. فلما أفاق شباب الأمة على الحقيقة وأنهم تأخروا عن ركب الإنسانية يوم أن تركوا الإسلام وأن أمتهم انحدرت من القمة إلى القاع يوم أن تركت الإسلام ، وأن الإسلام غير النصرانية وأنه هو الذي يخلق فيهم روح التحدي.. بدأوا يعودون اليه زرافات ووحداناً ، وبدأوا يدرسونه ويتدارسونه مما أذهل عدوهم ، فبدأ يضع المخططات لتحويلهم عنه.

وهاهم اليهود الذي اغتصبوا الأرض المباركة فأقاموا لهم فيها سلطة يزعمون أنها «دولة» ، وما هي بالدولة إذ أن مقومات الدولة ليست عندهم ، فهم يعتمدون في كل شيءٍ على أمريكا وأوروبا ، فحياتهم في يد غيرهم ، وسلامهم من عند غيرهم ، والأموال والأسلحة تتدفق عليهم من

عند غيرهم... كل هذا يجعل مقدراتهم بأيدي الناس الآخرين : **«إلا بحبل من الله وحبل من الناس»** (١١٢ : آل عمران). والحبل ممتد إلى واشنطن وإلى لندن، ولابد للندن وواشنطن أن تقطع الحبل إن عاجلاً أو آجلاً، لأن بقاء هذا الحبل، تمد به اليهود، سيعود عليها بالدمار والهلاك من الله وبأيدينا : **«قل : هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون»**. (٥٢ : التوبة).

وأخذ اليهود يشعرون أن شباب الأمة بدأ ينظر إليهم نظرة حقيقية وأنهم ليسوا أداة في أيدي الاستعمار فقط وإنما هم - كذلك - كفار يقاتلوننا بكفرهم ويريدون هدم إسلامنا واستئصال مقدساتنا وتفريغ أمتنا من وجودها الحضاري لتصبح ألعوبة في أيديهم. وفجأة كانت هذه النظرة، التي بدأت ترتعد لها فرائص أبطال (كامب ديفيد) من اليهود والنصارى ومن الذين والاهم!.

فكيف حدث ذلك، مع أنهم أنفقوا آلاف الملايين عبر العقود والسنين، ليطمئنوا على كفر هذه الأمة وعدم عودتها إلى دينها؟!

والجواب في قوله تعالى: «**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله. فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون**» (٣٦ : الأنفال).

إن صفحة جديدة قد فُتحت في تاريخ الإنسانية، بدأت تكتب على أيدي هذا الشباب المتعلم المسلم الذي بدأ يرتاد المساجد، ويلفظ أماكن اللهو، يتدارس القرآن، ويرفض قصص اللهو والجنس، ويصوم في اليوم القائظ، تقرباً الى ربه، ويعمل جاهداً ليكون جندياً من جنود الإسلام، بعد أن رأى الدنيا تتكالب على متع من النصارى واليهود: دنيا الكفار وأعوانهم، تنتزع البقعة المباركة منهم، وتخرج المؤمنين من ديارهم ومن بيوتهم ومن مساجدهم بغير ذنب الا أن يقولوا: «ربنا الله».

وكان كل ذلك في غيبة الإسلام عن الساحة وإبعاده عن المعركة، حتى

يتمكنوا من إقامة دولة اليهود على الأرض التي سجد عليها الشهداء، وارتفع من فوقها الأذان، وصلى على ترابها المصلون، وبكي في مساجدها المتضرعون. وما علم اليهود أنهم جاءوا إلى هذه الأرض بقدرهم، وأن الله ساقهم إلينا لمصيرهم: «**فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً**» (٧: الإسراء). ويقول الله جلت قدرته: «**وقلنا من بعده لبني إسرائيل: أسكنوا الأرض، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً**» (١٠٤: الإسراء). ويقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون فيقول الحجر والشجر: (يامسلم ياعبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله) الا الغرقد فانه من شجر اليهود».

وهذه الدلائل، التي أشرنا إليها، تتمثل في ناحية إيجابية وأخرى سلبية. أما الإيجابية فمظهرها في يقظة الشباب المسلم وعودته الى المساجد والى الإسلام والى الكتب التي ألفها علماء المسلمين في هذا العصر والتي تشرح علاج الإسلام لمختلف مشاكل الحياة، وفي هذا التحرك الجماهيري الذي بدأ هنا وهناك في بلدد المسلمين في إيران وفي تركيا، وفي مصر، الذي سيستمر حتى يكون سيلاً جارفاً، بإذن الله، يُذهِب بالكيانات المصطنعة وبالأفكار المستوردة وبعادات الكفر التي قلدناها.. يُذهب بذلك كله الى مزبلة التاريخ لتعود أمتنا أمةً واحدة، الله ربها ومحمد نبيها والقرآن كتابها والكعبة قبلتها وشريعة الإسلام دستورها وقوانينها وأنظمتها.

أما الناحية السلبية – والتي تدل على الخير أيضاً – فهي تتمثل في فشل الحركات القومية في بلاد المسلمين وفي فشل الأحزاب والدساتير والأفكار

والمواثيق التي أرادوا لها أن تحل محل الإسلام، ولكن هذا كله كان ينافي الفطرة الإسلامية والفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها. وحينما يأتي الله بالفتح أو «أمر من عنده» وتتكشف الحقائق فيذهل المؤمنون الذين كانوا يظنون في بعض القيادات خيراً ويرون في بعض الحكام أبطالاً، فيقول هؤلاء المؤمنين وهم في ذهول. **«أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين»** (٥٣ : المائدة).

إن «الفئة القليلة القيادية»، التي تريد أن تتصدى لتغيير المجتمع، يجب أن يكون مثلها في ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون الذين استمروا على تقشفهم بعد أن فتح الله الدنيا عليهم، وذلك أن الترف يقتل في النفس حوافز التحدي، لأن النفس بطبيعتها والجسم بطبيعته يخلد للترف وينام في النعيم ولا يقبل التحدي، لأن في قبوله التحدي ما قد يؤدي به الى خسران الترف والنعيم وبما أن نفسه قد اعتادت الترف وجسمه قد استكان الى النعيم فيصعب عليه أن يتخلى عنهما، أما إذا بقي على تقشف وعاش في الحد الأدنى من المأكل والملبس فهو يقبل التحدي بسهولة لأنه في تحديه لا يخسر شيئاً ولا تتغير عليه وسائل العيش وهو لم يقبل الترف. وكما ورد عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما روته عائشة رضي الله عنها: أنه كان يمر الشهر والشهران فلا يوقد في بيوت أزواج النبي، صلى الله عليه وسلم، النار وإنما يعيشون على الأسودين (الماء والتمر).. فالنبيّ، صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون عاشوا في الدنيا لا لينعموا بها ولكن ليصلحوها ويقوّموا الناس على درب الحق وعلى الصراط المستقيم.

وهذه الفئة القيادية من أحباب الله لا تغتر بقوتها، ولا بقدرتها العقلية والفكرية وإنما هي تعيش مع القرآن تتلوه، متعبدة به، وهي تقوم في جوف الليل تبكي متضرعة الى ربها أن يمدها بالقوة من عنده وفيما بين الليل والنهار لا تفتر عن الذكر: **«يا أيها المزمل. قم الليل الا قليلاً. نصفه أو أنقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً. إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً. إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً. إن لك في النهار سَبْحاً طويلا. واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا»** (١ - ٨ : المزمل). وكان قيام الليل فرضاً على النبي، صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه ولكن أصحابه لا يطيقون ما يطيق ولا يقدرون على ما يقدر، فخفف الله عليهم قيام الليل فلم يبق فرضاً وإنما استعيض عن ذلك بتلاوة القرآن: **«إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، وطائفة من الذين معك، والله يقدّر الليلَ والنهار، علم أن لن تحصوه فتاب عليهم فاقرأوا ما تيسر من القرآن»** (٢٠ : المزمل). وهكذا النفس المؤمنة تكون قريبة من الله. إن النفس التي تتحمل عبء التغيير ومقارعة الأحداث ومصادمة الظلم ومطاردة الظلام، لا بد لها من غذاء مادي وروحي.. غذاء مادي - «حسب ابن آدم لقيمات يُقِمن صُلبَه» - وغذاء روحي بدوام الصلة مع الله كما ورد في حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه). وهكذا يعين الله أحبابه فلا يكلهم الى نفوسهم ولا يتخلى عنهم ما داموا معه صادقين وعلى الحق قائمين.

وهذه الفئة التي اختارها الله أو سيختارها من أحبابه ينتقيها هو فتبرز فجأة قد صَفَتْ نفوسُها وتعلق قلبها بربها. حينما يراها الناس يتعجبون من

أمرها : كيف اختارها الله ولِمَ وقع عليها الاختيار، فيجيب الله المستائلين : **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»** (٥٤ : المائدة) ، فهو حر الاختيار، محيط بنفوس خلقه ، عليم بخفاياهم . **«ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد»** (١٦ : ق) ، فهو يختارها وهو يعلم خبايا نفوسها وحديث قلوبها ومقدرتها على تحمل العبء واستعدادها للقيادة .

ثم تمضي الآيات لتبين للمؤمن من يوالي في الدنيا ، فيكون ارتباطه به لا ينفك عنه بعد أن بينت الآيات أنه لا تجوز موالاة اليهود والنصارى لأنهم يتآمرون على هذا الدين ولا يؤمنون بالله رب العالمين ، ولا يؤمنون برسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم – وهو خاتم النبيين وآخر المرسلين – فتقول الآيات : يجب أن يكون ولاؤنا معشر المؤمنين لله : **«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»** (٥٥ : المائدة) . والولاء لله يقتضي الطاعة المطلقة ، والعبودية الحقة ، وأن يوحد فيه الأولوهية ، وأن يوحد الربوبية . وتوحيد الألوهية ألا يشرك مع الله أحداً في العبادة ، فلا يعبد الا الله ، ولا يسجد إلا لله ، ولا يستعين الا بالله ، ولا يستغيث الا بالله . فإذا صفَتْ في نفسه العقيدة فتعلق قلبه بالله ، اتبع أوامره واجتنب نواهيه في كل شؤونه . وتوحيد الربوبية هو الاعتقاد بأن الله هو النافع وهو الضار وهو الرازق وهو المحيي وهو المميت .. فلذلك فالولاء لله يقتضي نبذ الشرك ، فلا يشرك مع الله إله آخر من بشر أو شجر أو أفلاك أو زعيم أو فكر أو عَلَم أو حزب من هذه الآلهة المتعددة التي عبدها الناس من دون الله ، وكذلك لا يعبد المال كما قال رسول الله ، صلى الله عليه

وسلم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة»..
وبعد أن نوالي الله جلت قدرته نوالي رسوله فنتبع ما أمر به ونتقيد عما نهى عنه ونقتدي به في حياته وسلوكه، وولاء الرسول هو من الولاء لله.. يقول الله: «**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**» (٣١: آل عمران).
ولذلك فإن الدعوة الكافرة المشبوهة التي قال بها حاكم يزعم الاسلام وهو القذافي ونادى باعتبار القرآن فَقَطَ وعدم الاعتراف بالسنة النبوية، وهو يظن أنه قد أتى بجديد، وهو لا يعلم أنه يسير على درب قوم سبقوه بالضلال فنادوا بالقرآن فقط وأنهم لا يعترفون بالسنة.. هي دعوى يراد بها هدم الإسلام من أساسه بإنكار السنة أولا تمهيداً لإنكار القرآن فيما بعد.
والسنة هي وحي: «**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ**» (١١٠: الكهف).
ولذلك فيما يتعلق بالتشريع كان النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يقره ربه على خطئه وإن كان هو سيد البشر فقد كان يصيب ما يصيب البشر من الغضب أو الحزن أو الهم فيتخذ قراراً لا يقره ربه عليه، فهو، صلى الله عليه وسلم، حينما رأى عمه حمزة وقد مثل به المشركون وبقروا بطنه ولاكوا كبده غضب لمنظر عمه، وحزن على عمه وهو الفارس المقدام أسد الله وأسد رسوله دافع عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وعن الإسلام، فكان طبيعياً أن يغضب للتمثيل به وهو سيد الشهداء فقال: «**والله لئن أظهرني الله عليهم** [يعني المشركين أو قريش] **لأمثّلنّ بهم مِثْلة لم تعرفها العرب قط**».
فنزل عليه قول ربه مؤدباً له: «**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لَهو خير للصابرين. واصبرْ. وما صبرك الا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تَكُ في ضيق مما يمكرون. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**» (١٢٦ - ١٢٨: النحل). فيصعد النبي، صلى الله عليه وسلم، المنبر

ويقول «كنت قلت لكم كذا وكذا وقد أنزل الله عليّ هذه الآية» ثم تلاها وأعلن للناس أنه سيصبر.

إذن السنة وحي ولكنه وحي لم ينزل بلفظه ولا يتعبد بتلاوته. والقرآن جاء بالقواعد الكلية لتشاريع الإسلام، وأما التفاصيل ففسرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بقوله أو فعله أو سكوته عن عمل أمامه أو إقراره لعمل عُمل أمامه. فالله قد أمر في القرآن بالصلاة والرسول نزل عليه جبريل عليهما السلام فأمّه خمس صلوات في اليوم والليلة وبيّن له عدد ركعاتها وسجداتها وقيامها وقعودها، ثم أمّ النبي، صلى الله عليه وسلم، المسلمين في هذه الصلوات الخمس وقال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

والقرآن أمر بالزكاة، وجاء النبي، صلى الله عليه وسلم، فبيّن مقاديرها في الذهب والفضة وفي عروض التجارة وفي الإبل والغنم والبقر. والإسلام أمر بالصوم وبيّن تفاصيله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهكذا كل أحكام الشريعة وفروضها ونوافلها، فمن أنكر أن الصلوات خمس مثلاً لأنها لم ترد في القرآن فقد أنكر ما علم من الدين بالضرورة وأنكر المتواتر الذي نقلته الأمة عن رسول الله فنقله أصحابه عنه ثم التابعون ثم تابعوهم وهكذا الى أن وصل الينا. فمن أنكر ذلك فقد أنكر المتواتر، ومن أنكر المتواتر فقد كفر.

وليس هناك علم من العلوم في تاريخ الإنسانية كلها تعب عليه أهله في جمعه وتمحيصه وبيان صحيحه من الموضوع والقوي من الضعيف حتى تفرع «علم الحديث» إلى عدة علوم: «علم الحديث» في حد ذاته وعلم «الرجال»

وعلم «الجرح والتعديل»، ووضعت شروط قاسية لأخذ الحديث وألفت كتب كثيرة في جمعه، أشهرها الكتب الستة المعروفة، والله سبحانه وتعالى يقول آمراً المؤمنين: **«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»** (٧ : الحشر). ويقول: **«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»** (٢١ : الأحزاب). إذن أحباب الله هم الذين يؤمنون بالله وما أنزل من كتب وما أرسل من رسل: **«قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»** (١٣٦ : البقرة).

ولذلك أي انسان يكفر بالله ورسوله وبالإسلام فيعتنق مبدءاً غير الإسلام أو لا يؤمن بصلاحية الإسلام لتنظيم الحياة أو يعتقد أن الإسلام يجب أن يحصر في المسجد وليس له دخل في السياسة ولا القيادة ولا تنظيم علاقات الناس المختلفة فقد كفر. ويجب أن نقطع العلاقة معه إلا أن ندعوه بالحسنى، إن كان من أهل الكتاب. وإن كان أصله مسلماً فقد ارتد والمرتد معروف حكمه في الإسلام وهو القتل بعد مناقشة واستجابته ثلاثة أيام.

ولقد خرج علينا المضبوعون بالثقافة الغربية ومن الحكام عملاء الغرب بالدعوة الى «توحيد المؤمنين بالله» من أصحاب الأديان المختلفة حتى يعملوا جبهة أمام الاتحاد السوفييتي الشيوعي. وهؤلاء لا يتورعون أن يقولوا عن اليهود أنهم مؤمنون وعن النصارى أنهم مؤمنون مع أن الايمان في الإسلام هو الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره من

الله تعالى. واليهود والنصارى غير «مؤمنين» في نظر الإسلام لأنهم لا يؤمنون بنبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، ولا يؤمنون بالوحدانية، فالنصارى يقولون التثليث، واليهود يقولون أن العزير ابن الله، والنصارى تقول أن المسيح ابن الله. وهم في نظر الإسلام يجب أن يعتنقوا الإسلام إن أرادوا أن يكونوا في عداد المؤمنين الناجين.. نعم نحن لا نُكرِههم على دينهم: **«لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغيّ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم»** (٢٥٦ : البقرة).

ولذلك لا يجب أن نداهن أحداً من غير المسلمين أو نكذب عليه وعلى الله وعلى أنفسنا فنقول عنه أنه «مؤمن» مجاملةً من أجل دنيا أو مصلحة أو رزق: **«أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»**.. صفات هؤلاء المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسوله أنهم يقيمون الصلاة في أوقاتها ويؤدون الزكاة في أوقاتها وصفاتهم أنهم لا يركعون الا لله. والنتيجة الحتمية لمن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا أنه يصبح من حزب الله ويترك حزب الشيطان لأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. والكفار بعضهم أولياء بعض، مهما تنوعت أسماؤهم ومهما كان جنسهم ومهما كانت لغتهم ومهما كان موطنهم.

هل انتصر اليهود في حروبهم مع المسلمين في هذا العصر

منذ أن قامت دولة اليهود بحبل من النصارى، وبعون من الحكام

الموالين لهم ، لم تدخل الأمة معهم معركة حقيقية وإنما كانت المعارك في مجموعها أقرب الى التمثيل وتنفيذ المخططات.. ففي عام ١٩٤٨ - عام النكبة الأولى - لم يكن اليهود يملكون جيشاً بمعنى الجيش في فلسطين ولا سلاحاً فتاكاً ، فلا دبابات ولا طائرات وإنما كانوا يملكون بعض المصفحات والمدافع الصغيرة والرشاشات ولذلك لم يستطيعوا أن يهزموا أهل البلاد. وكان أهل البلاد منتصرين عليهم حتى دخلت الجيوش العربية وكان عددها في ذلك الحين سبعة جيوش - لا أكثر الله من العدد لأنه علامة الفرقة - فتغير الموقف وبدأت المعارك فلما كاد أن يقضي على دولة اليهود ، وهي وليدة ، أعلنت الهدنة الأولى ، فقبلها حكام الهزيمة ، هزيمة عام ١٩٤٨ .

وتواردت الأسلحة على اليهود وبدأت الجيوش تتقهقر فلما وقّعت حكومة مصر في ذلك الحين على الهدنة كان قد ذهب ثلثا فلسطين - الأرض المباركة - وبقي الثلث .

وفي عام ١٩٦٧ خطط لمؤامرة ضخمة وهزيمة بشعة ، فاستولى اليهود على باقي فلسطين وعلى سيناء وعلى أكثر الجولان في مهزلة تاريخية تعرف باسم «حرب الأيام الستة» حيث سلمت الأرض بلا قتال إلا ماكان من بعض الضباط والجند حيث قاتلوا بعقيدتهم وأستشهدوا صارخين الى ربهم تخاذل حكامهم. وكان من ضمن التمثيلية أن يبرز موشى ديان كقائد أسطوري وكان وزير دفاع اليهود ، حيث تصورت الدنيا المضللة أن ديان ، بعبقريته العسكرية وجيشه الذي لا يقهر ، قد هزم الجيوش العربية مجتمعة ، جيوش الثوريين الحاقدين على الله وجيوش الرجعيين الكاذبين على الله .

والواقع أن ديان لم ينتصر في الحرب، والجيوش العربية لم تهزم في الحرب، وإنما هي تتمثيلية مثِّلت أسند فيها الى ديان دور البطل وذهب ديان في الدنيا التي لا تعرف الحقيقة مثلا للقائد الذي لا يهزم وضاعت الحقيقة وسط الوحل السياسي ونفاق الكتّاب وكذب الصحفيين الذين أخذوا يبحثون عن أسباب (هزيمة أمتنا) – وهي غير مهزومة – وكانوا ينافقون صنّاع الهزيمة من الحكام حتى يثبتوهم على كراسيهم.

والواقع أن ديان لا يمكن أن يصبح قائداً تاريخياً يمد أجيال اليهود بالمدد المعنوي لأن هذا يتنافى مع الذلة التي فرضها الله على اليهود الى قيام الساعة: **«ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله»**، **«واذ تأذن ربك ليبعثنّ عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب»**.

فنحن المسلمين لا نزال نأخذ مدداً معنوياً من قادتنا التاريخيين.. نعتز ببطولة علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وسعد وأبي عبيدة وصلاح الدين، ونفخر بالأبطال الذين اقتحموا ساحل فلسطين فقتلوا عدوهم على أرضهم، والذين احتلوا فندق سافوي في تل أبيب، وبكل بطل يسير على درب البطولة يقتل عدوه ويدمر كيانه..

وديان نفسه كان يعرف الحقيقة، وأنه ليس بطلاً، والخاصة من حوله من قادة اليهود يعرفون الحقيقة أيضاً وأنه لم ينتصر، وأهل البلاد المحتلة يعرفون الحقيقة أيضاً: كيف رأوا الجيوش العربية تولّي الأدبار في عملية تسليم وتسلم.. وإلا فأي عاقل يعقل، أو أي إنسان يصدق أن مليونين من البشر (الأذلاء) يهزمون مئة مليون أو أكثر في ساعة من الزمن.

ولو قدر لديان أن يموت أو يقتل، عقب سنة ١٩٦٧، لبقي أسطورة تمد اليهود بالمدد المعنوي ولكن الله جلتْ قدرته أبى عليه الموت أو القتل حتى لا يستمر أسطورة في تاريخ اليهود، فيبقى الى عام ١٩٧٣ فخاض جندُ المسلمين معركة (وهي وإن كان مخططاً لها الى أن تصل ما وصلت اليه) ولكنها كانت معركة، لم يكن يعرف الجند فيها أنها مؤامرة، أذاقت اليهود الأمرّين لأن شعار المسلمين الخالد - «الله أكبر» - دخل فيها وبدأت أجهزة الإعلام تتكلم عن الشهادة والاستشهاد والجنة وما أعد فيها من نعيم، وبدأ الذعر يدب في اليهود وانهارت أعصاب ديان البطل «الأسطوري»، ويتصل ديان في اليوم الرابع من المعركة برئيسة وزراء العدو غولدا مائير يخبرها أن «البيت الثالث (يعني الهيكل الثالث) بدأ ينهدم».. وانكشف القناع عن وجه ديان، وأنه لم يكن قائداً عبقرياً حتى ولا في مستوى القادة العاديين، وسقطت أسطورة «البطولة» عنه، عند قومه أولاً، وهذا هو المهم، حتى لا يبقى أسطورة عندهم واتهموه بالخيانة، واتهموه بالتقصير وطرد من منصبه، ولولا أنه من الفئة الحاكمة في دولة اليهود لقدم الى المحكمة بتهمة التخاذل والتقصير.

واليهود ممنوعون من النصر على المسلمين وغير المسلمين بنص القرآن، لأن الله يقول: **«وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله»**. والذليل والمسكين لا ينصر لأنه مكسور القلب فاقد الهمة. والله يقول: **«وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب»** والمعذب لا ينصر. وأما الآية القطعية في عدم نصر اليهود ففي سورة آل عمران: **«لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولون الأدبار ثم لا يُنصرون»**

فهم يدمرون ويرهبون ولكنهم لا يُنصرون ، ولقد جاءت معركة بيروت الأخيرة لتكشف حكمة قرآنية مذهلة. فبالرغم من أن اليهود حشدوا كل جيشهم في المعركة مع أسلحة أمريكا والغرب إلا أنهم لم يستطيعوا أن يدخلوا بيروت خلال ثمانين يوماً من القصف والحصار. وبذلك عرف الناس أن الجيوش العربية لم تحارب منذ عام ١٩٤٨ ، وأن فلسطين وسيناء والجولان سلِّمت تسليما.

ولولا أن الحكام، الذين والوا اليهود والنصارى، لم يوقفوا تقدم الجيوش ولم يمنعوها أن تقتحم أرض سيناء وأرض فلسطين لانتهت دولة اليهود. وبان أن المقصود من المعركة هو خطة لتحريك القضية ، بدأت بالزيارة الملعونة المشؤومة التي قام بها حاكم مصر الى القدس وانتهت في ليلة مشؤومة أخرى بتوقيعه على وثيقة الاستسلام بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٩.

والسادات بمعاهدته هذه ظن أن اليهود سيوفون له بتسليمه سيناء بعد أن قدم لهم رشوة الأرض المباركة كلها والقدس والأقصى وصبايا المسلمين وبنات الإيمان وأطفال المؤمنين ولكنه كان مخدوعاً فالله أصدق منه حين يقول : **«فكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم»** فسينقض عهده معهم أو عهدهم معه فريق آخر يأتي الحكم ، وإن نقض اليهود للعهد هو من أسباب لعنة الله عليهم : **«فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية»**

ولذلك ليس هناك مجال لمعاهدة أو صلح أو تعايش مع اليهود الا أن يعيشوا في ظل دولتنا ، فالأمر أعمق وأخطر وأكبر مما يتصوره الجهلة من

الحكام والساسة وأصحاب النظريات المنهارة من الماسونيين يميناً الى الشيوعيين يساراً ، وما بينهما من دعاة القومية ومهازيل السياسة العالمية الذين يظنون أنهم يخدمون أمتهم وما رأت أمتهم على أيديهم الا البوار والهلاك.

وستمضى أمتنا في طريقها الى النصر رغم كل الخيانات لأنها بدأت تعود الى إسلامها ، وبدأ إسلامها يعود اليها وبدأ التكبير (الله اكبر) يتجاوب صلاة على امتداد العالم الإسلامي كله ، وبدأت أمتنا تشعر برياح العز ونفحات الإيمان وانبثاق فجر النصر بعد ظلام الهزيمة الدامس وفرقة القومية المظلمة وسيطرة الكفر الذي ظن أنه قتل فينا كل روح للمقاومة.

وفجأة فإذا العملاق يتململ ، وإذا النور يشعّ ، وإذا كل شيْ يتغير ، وتبدأ الشعلة من إيران وستمتد حتى تشمل أمة القرآن ، ثم العالم المتلهف إليها ...

حتمية النصر
من خلال آيات أخرى

كان هدف الكافر المستعمر أن يوقع اليأس في قلب الأمة ويقنعها بأنها قد فقدت مقومات النصر وأنها لا تصلح للحياة. ولقد أستطاع أن يبعد الدين عن حياتها وعمل ذلك خلال قرنين من الزمن بعد أن استيقظ من هزيمته في الحروب الصليبية وعرف أن سر نصر هذه الأمة هو الإسلام، فأراد ان ينزعها من الإسلام أو ينزع الإسلام منها. وكان الغرب في هذا الوقت قد بدأ في النهضة الصناعية التي قلبت وسائل الحياة المادية عنده وأعطته من أسباب القوة والمنعة الشيء الكثير. وكان العقل الإسلامي في هذا الوقت قد أصابه الجمود وأغلق باب الاجتهاد، وتولى قيادة الأمة أناس يغلب عليهم الجهل، وعلماء الأمة تاهوا في الخلافات المذهبية والمحاكمات اللفظية، والانتصار لآراء الأئمة والمذاهب الفقهية بالحق وبالباطل، وضعفت اللغة العربية التي هي وعاء الإسلام ولم تصبح هي اللغة الرسمية، وغلب عليها السجع والمحسنات اللفظية والكلام الممل والأسلوب الهابط. وصاحب ذلك خرافات وأباطيل نسبت إلى الإسلام زورا وبهتاناً، مما سهّل على الغرب أن يغزو الأمة وهي في هذا الخمول الذهني والانحطاط الفكري، إذ بعدت عن إشراقة الاسلام وفصاحة القرآن والنظرة الصائبة والفكر العميق الذي لازمها في القرون الأول والثاني والثالث، والى حد ما في القرين الرابع والخامس، ثم تفككت بعض أجزائها بعد ذلك، واستقل

بعض ولاتها ببعض أجزائها، وصارت دول ودويلات وانفصل مغرب الأمة عن مشرقها في كثير من الأحيان. وأمتنا لا تنتصر الا اذا فكّرت بعمق وأخذت الإسلام بصدق وفهمت القرآن بإشراق روحي فلما كانت كذلك استمرت منتصرة لم تتقهقر، متقدمة لا ترجع، واثقة بالله ربها، وأنها خير أمة أخرجت للناس.

فلما ابتعدت عن الفكر المستنير وأخذت تهبط متدرجة حتى وصلت الى الحضيض استطاع عدوها الكافر أن يثب عليها أول مرة في الأندلس، حيث ملوك الطوائف وعنعنات الجاهلية والقيسية واليمنية، فذهبت منها الدرة الثمينة والبلاد التي أشرق فيها نور الإسلام يوماً يشعّ على العالم النصراني من حوله يضيئ جنبات فكره. فلما كان العصر الحديث، وهي في خمولها وانحطاطها وتدهورها، استطاع عدوها أن يسيطر عليها ويمزقها ويستذلها. وعشنا في دويلات أو شبه دويلات وفي إمارات تشبه الحارات وعدوها يخطط للقضاء على حضارتها حتى وصلنا ورأينا أن التحدث في الإسلام كان معيباً وأن الذي يتحدث عن الإسلام في حديثه - على استحياء - خوفاً من أن يتهم «بالرجعية» و «التخلف» و «الجمود». ورأينا علماء أو ما يشبه العلماء يسيرون في ركاب الكافر، يعطيهم بعض حظهم من الدنيا فتاتاً لا يغني ومناصب ليس لها معنى، وحصر الدين في المساجد مع مراقبته لها، وخطط للدين في المدارس وسماه «التربية الاسلامية» مع أن الإسلام يربي الفرد وينشئ الدولة ويصنع الحضارة وفيه لكل مشكلة من مشاكل الحياة حل، وركب الشباب - الذين ربّاهم الكفر في مدارسه - موجة القوميات ومشوا تحت شعار «العلمانية» زاعمين أنهم بأمتهم سينهضون.

وقد ترك الاستعمار بلادهم بعد أن مكّن لهؤلاء الشباب وسلّمهم السلطة وقد انضووا تحت ستار أحزاب كافرة، أو قادة انقلاب، للحكم منتصبة، تؤلف لها أحزاباً وجماعات من المنتقصين والمطبلين والمزمّرين. ومن العجيب الغريب أن هؤلاء الشباب، والأحزاب التي ألفوها والانقلابات التي صنعت لهم فنفذوها، كلهم ينادون بالوحدة - شعارا - وكلٌ يعمل لهدمها خوفاً على كرسيه أو منصبه وحتى لا تذوب الحدود والسدود. وضاعت فلسطين على مرتين. المرة الأولى في عام ١٩٤٨ في ظل الحكام التقليديين الرجعيين الذين نصبهم الاستعمار مباشرة بعد أن تعاونوا معه في القضاء على دولة الخلافة وفي الرضا بالتجزئة وفي القبول بالكيانات الهزيلة وفي ألا يعود الإسلام الى الحياة وأن ينزوي في المساجد أو التكايا أو الزوايا.

وفي المرة الثانية جاء الثوريون بانقلابات عسكرية يركبون متن «القومية» و «الاشتراكية». وفي هذه المرة ليست قومية الرجعيين وإنما قومية ثورية، مشتطة في ثوريتها، حامية شعاراتها، ملتهب حماسها، تزمجر وتولول: ويل للاستعمار! ويل لليهود! ويل للرجعية التي تعيش في القصور وفي الفجور! وفجأة تأخذ هذه الفئات تبحث عن قصور الرجعيين الذين سبقوهم في موالاة اليهود والنصارى فسبقتهم في فجورهم وفي نعيم قصورهم وفي أساطيل سياراتهم وفي تنوعها، حتى اذا لم تجد في القومية ما يغني لتنظيم شؤون الحياة لم تعد الى ذاتها الحضارية والى عقيدة أمتها والى الاسلام تستغيثه ليحل المشكلة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وكل مشكلات الحياة.. وأغلبها جاهل بالإسلام لا يعرفه، وكلهم حاقد على الإسلام لا يريده، لأن عقولهم ونفوسهم صنعت في مطابخ المخابرات الشيوعية،

فأخذوا يتجهون الى «الاشتراكية العلمية» يلبسونها القومية أو يلبسوها للقومية. والاشتراكية العلمية تعني بكل بساطة: إنكار وجود الخالق وقبول نظرية التطور الحتمي في المجتمع والتاريخ والإنسان والحيوان وكل الموجودات. ولا يستحون بعد ذلك أن يقولوا: إنها «اشتراكية عربية» والذي اخترع الاشتراكية يهودي ألماني ويهودي روسي ماركس ولينين ويضاف إليهما انجلز.

والحقيقة أن هؤلاء الثوريين لا يفقهون حتى الماركسية وإنما يريدون أن ينفلتوا من كل القيم ومن كل خلق ليعيشوا عيشة بهيمية. ولقد استغل كوهين الجاسوس اليهودي المشهور هذه الناحية فيهم فدخل في صفوفهم متظاهراً أنه منهم وأغرقهم في الحفلات والملذات وفي الجنس ولولا مشيئة الله لتولى كوهين الوزارة في صفوف الثوريين السوريين البعثيين وربما أكثر من الوزارة. ووهب الثوريون أنفسهم لمحاربة الإسلام.

وكانت حركات إسلامية قد برزت في منتصف هذا القرن أو قبل ذلك بقليل وأخذت تكوّن خطراً على كيان اليهود، فكان لابد من سحقها على أيدي الثوريين لتثبت إسرائيل دولةً. وأصبح التدين في بعض الأقطار جريمة يعاقب عليها وأصبح الإيمان مطاردا أصحابه وأصبح كثير من المؤمنين يخفون إيمانهم.

وتوالت الهزائم على أيدي الثوريين ولم يكونوا أحسن حظاً من الرجعيين وكانت القومية الثورية صنو القومية الرجعية، نافستها في كل شيء في العمالة – (وإن كانت عمالة الأولى واضحة والثانية تتستر وراء الشعارات وشتم

الاستعمار وخداع الجماهير وتضليل العامة). والطرفان يتفقان في خدمة الاستعمار ولكن بأسلوبين مختلفين. فالقوميون التقليديون يريدون فصل الدين عن الحياة، وأغلبهم من الماسونيين الذين لا يؤمنون بدين إلا دين الماسونية ويريدون الإسلام أن يُبقي على رباهم وزناهم وخمرهم وميسرهم وقمارهم وعمالتهم وتسليمهم لأوطانهم وبعد ذلك فليصلّ من يشاء أن يصلي وليذهب الى المسجد من يشاء أن يذهب وليصم من يشاء أن يصوم، وأما السياسة فليست من صناعة الدين ولا أهل الاسلام، والعلماء الذين يطلقون عليهم «رجال دين» لا يصح أن يتدخلوا في السياسة، وهم بذلك يجعلون من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، راهب كنيسة أو شيخاً في زاوية تتدلى في رقبته سبحته، يتمتم بالكهانة ولا يعتني بشؤون الحياة، ويجعلون من القرآن العظيم كتاب أدعية وأحجبة، يتلى على أمواتهم وعلى المقابر ولا شأن له بالحياة، وبعد ذلك يزعمون أنهم «مسلمون»، ولا أدري كيف يكون هؤلاء من المسلمين!.

وأما القوميون «الثوريون» فهم يرفضون الدين أصلاً، ولكنهم يبقون على بعض مظاهره خوفاً من نقمة العامة ومن ثورة «السفهاء» في زعمهم، فهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وما أجمل آيات القرآن وهي تصفهم وهم متلبسون في الجريمة، فأنظر اليهم تلاحقهم آيات القرآن: **«ومن الناس مَنْ يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لا تُفسِدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. وإذا**

قيل لهم آمِنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ، ولكن لا يعلمون. واذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنّا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحتْ تجارتُهم وما كانوا مهتدين» (٨ - ١٦ : البقرة).

وهذه الآيات تصف الفريقَيْن القوميين التقليديين والقوميين الثوريين وإخوانهم في الغي يمدونهم من الماسونيين والاشتراكيين والشيوعيين والرأسماليين. فما رأت الأمة الا الهزائم على يد هؤلاء وهؤلاء ولم تر الخير على أيديهم قط ، لم تر الا التعذيب والتخويف وقتل المروءة والرجولة تمهيداً للعدو حتى يأتي ويستلم ، وقد أتى واستلم في ظل هؤلاء وهؤلاء. استلم فلسطين كلها وسيناء كلها والجولان أكثرها. أصاب الأمة اليأس أو ما شابه اليأس ، كفرت بهم ولكنها خافت منهم ، تلعنهم ولكنها تبتسم في وجوههم ، تدعو عليهم ولكنهم يسوقونها لتصفق لهم. وأخذت الفئة القليلة المؤمنة تتطلع الى الله وتنظر في القرآن ، فاذا آيات من القرآن تعطي الأمل القطعي والنصر الآتي. الآيتان من سورة الأنفال - وهي سورة القتال - تدل الأولى منهما على النصر والغلبة للمسلمين في النهاية بشرط أن يكون قتالهم قتالاً إسلامياً وتحت شعار الإسلام ، لا تحت شعارات الكفر ولا مستظلين برايات الكفار : «**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكونُ عليهم حسرةً ثم يُغلَبون**» (٣٦ : الأنفال). ألا ترى الى الغرب النصراني وقد أنفق الملايين على إنشاء المدارس والجامعات والنوادي والمستشفيات ثم أنفق الملايين على تثبيت دولة اليهود في أرض الإسلام ،

فأعطوها لقمة العيش وأعطوها كل سلاح مدمر وهم يباركون كل ما تقوم به ويعلنون صباح مساء أن «دولة اليهود قامت لتبقى». وهو شعور منهم خفي أنها لن تبقى. وفجأة فاذا الأموال التي أنفقوها تذهب سدى، واذا الشباب الذين تربوا على مناهجهم وفي مدارسهم وفي جامعاتهم ينقلبون عليهم ويعادونهم عداءاً حقيقياً، فلا يحملون فكرهم وإنما يحملون فكر أمتهم. فعادوا الى الإسلام، الى نقطة البدء في الصراع حيث المعركة الحقيقية عبر التاريخ بين قوى الكفر وقوى الإسلام الذي يمثله أنبياء الله المتتابعين منذ آدم عليه السلام الى نبينا. صلى الله عليه وسلم، خاتم الانبياء والمرسلين الذي أرسله الله رحمة للعالمين والى أهل الدنيا أجمعين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والله خير الوارثين.

وشعر الغرب وهو يعرف الحقيقة أن دولة اليهود التي أقامها في أرض الإسلام لا يمكن أن تستمر وليس لها صفة الدوام ولو أعلن على الملأ بين الحين والحين أنها قامت لتبقى. لأن أهل المنطقة عقيدتهم ترفض هضم دولة اليهود، وقرآنهم يمنعهم من أن يسلّموا أرضهم لليهود، ونبيهم، صلى الله عليه وسلم، حذّرهم من اليهود وبشّرهم بقتلهم. ولذلك أهل المنطقة لم يهضموا هذه الدويلة على الرغم من أن أكثر الحكام من الماسونيين وكثير منهم من اليساريين – وجُلّهم من الرأسماليين – والماسونيون هم صناعة يهودية. قد اخترع اليهود دين (الماسونية) ليعاونوهم على إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى. وبالفعل فقد سلّموا لهم الأقصى عام ١٩٦٧. وإني لأذكر تلك الليلة المباركة – ليلة ٢٧ من رمضان ليلة القدر في آخر رمضان قضيته في القدس عام ١٩٦٧ – وقد صلينا تلك الليلة في المسجد الأقصى

مع عدد كبير من المسلمين فجلست الى الناس وحدثتهم بعد صلاة التراويح لأكثر من ساعتين تعرضت فيها للحركات الفكرية والسياسية التي تسود بلاد المسلمين، فلما جاء دور الماسونية في الحديث، قلت إنها جمعية يهودية تسعى لإعادة بناء الهيكل، وأن اكثر الحكام من الماسونيين وسيسلمون المسجد الأقصى ليقيم اليهود عليه الهيكل.. وقد كان!

واليساريون من الحكام ومن الأحزاب ومن المنظمات لا يحاربون اليهود حرب تحرير ولكنهم يحاربونهم في فلسطين «حرباً طبقية» حتى اذا استلمت «الفئة العاملة» الحكم هنا وهناك، لم تعد هناك مشكلة عند اليساريين إذ أن مصلحة الطبقة العاملة في كل الدنيا واحدة، حسب زعمهم.

وأما الرأسماليون الربويون الاحتكاريون الذين يفصلون الدين عن الحياة فهم يريدون من الأمة أن تعترف «بالأمر الواقع»، لأن مصالحهم الربوية الاحتكارية مرتبطة بمصالح اليهود الربوية الاحتكارية، والحرب قد تدمر قصورهم وتمحق رباهم ولذلك هم يدعون الى العقلانية، وبالرغم من إخلاص هؤلاء وأولئك لدولة اليهود، فإنهم لم يستطيعوا تثبيتها دولةً.

وأما الآية الأخرى من سورة الأنفال فهي تجيب على سؤال كبير يطرحه الخائفون والمرجفون والمتشككون في نصر الله، والذين يدعون الى «العقلانية» فيتساءلون: كيف تقاوَم دولة يهود؟ ومن ورائها الغرب وما يملك من أسلحة وتدمير، والشرق بما يملك من إرهاب وتخويف، وإنْ كان الشرق يدعمها دعم المنافقين، فهو يمدنا ببعض السلاح ويمدها بالرجال. فالله سبحانه وتعالى يجيب هؤلاء الخائفين الذين يخافون على الحياة الدنيا فيقول لا تخافوا ولا تهتموا، إن الأمر يتعلق بي فكونوا معي وإني إذا أخلصتم في عبادتي

أوفّقكم الى طريق العمل وأتولى تدمير عدوكم : **«ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ، إنهم لا يُعْجِزون»** (٥٩ : الأنفال).

ألم تر كيف يضرب الله الأمثال لنا بين الحين والحين فيغرق عدة ولايات في أمريكا بالثلوج التي توقف الحياة ، ويجعل فيضانات ! ولقد ضرب لنا مثلاً قبل عام من الزمن حينما قطع التيار الكهربائي عن أعظم مدينة في أمريكا أو في العالم ، نيويورك. كيف دمرت في تلك الليلة ونهبت وسرقت. وفي الاتحاد السوفييتي في هذا العام (١٩٨١) انخفضت الحرارة الى درجة توقفت معها وسائل التدفئة وتعطلت الحياة وأصبح داخلُ الثلاجة أدفأ من خارجها. ولقد سلط الله على أمريكا خاصة ، والغرب بشكل عام ، مرضاً جنسياً جديداً ، ليس الزهري ولا السيلان ، وانما (الهربس) ، وهو يكاد أن يتحول الى وباء في أمريكا ، وهي الآن في قلق وعلماؤها وأطباؤها في اجتماع دائم لحل مشكلة هذا المرض الذي. سيقضي هو ووليده (الإيدز) AIDS — الذي يصيب الشاذين جنسياً — على زهرة شباب أمريكا وأوروبا. ولقدْ وصل الهربس الى دول الخليج ليقضي على الفاجرين منهم الذين ملأوا الأرض فسادا وفجوراً حتى أصبحوا مضرب المثل في الإنسان البهيمي الحقير.. (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

ولقد بدأت تباشير نصر الله في التحول العجيب والزلزال الرهيب الذي قام به شعب إيران المسلم مكبراً «الله أكبر» فاذا (عرش الطاؤوس) ينهار واذا ملك الملوك — «شاهنشاه» — يولي الأدبار ، وإذا الظلمة بين هارب ومستسلم وقتيل ، وإذا هذا الزلزال يزلزل الطغاة في كل مكان ، وإذا دولة اليهود لا يهدأ لها قرار. لقد قطع عنها شريان الحياة — البترول — بترول

المسلمين الذي كان يغذيها به الشاهنشاه. وانتعشت الآمال في الأمة ورأت كيف يفعل التكبير والاستغاثة بالله العلي الكبير وسقط فكر الثوريين والرجعيين وصدق الله العظيم: **«ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا، انهم لا يعجزون»**. ولكن الله يمهل ولا يهمل، والأمة حينما وصلت الى حالة اليأس وصلت الى سنّة من سنن الله مع المسلمين إذ حين تصل الأمة الى حالة من اليأس يأتيها نصر الله: **«حتى اذا استيأس الرسلُ، وظنوا أنهم قد كُذِبوا، جاءهم نصرُنا فنُجِّي من نشاء ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القوم المجرمين»** (١١٠ : يوسف)، **«أم حسبتم أن تدخلوا الجنةَ ولما يأتيكم مثلُ الذين خَلَوْا من قبلكم مسَّتْهم البأساء والضراء وزُلْزِلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله. ألا إن نصر الله قريب»**(٢١٤ : البقرة).

وأكثر ما يمثل نصر الله في حالة الاستيئاس في معركة الأحزاب أو الخندق، حيث جاءت قريش بعشرة آلاف مقاتل رابطوا أسفل المدينة، ولم تكن الجزيرة العربية تعرف مثل هذا العدد من الجيوش، ونقض اليهود العهد والميثاق الذي كانوا قد عاهدوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليه بأن لا يكونوا مع أعدائه، وحيث برز المرجفون في المدينة من المنافقين الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، فوقع المسلمون بين أعداء ثلاثة: عدو أسفل منهم، وعدو أعلى منهم وعدو فيما بينهم، فأخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، بالأسباب المادية التي لابد منها في المعركة، فحفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي، وكان وضع المسلمين في المدينة حرجاً حيث الطعام قليل واستولى الخوف على المسلمين حيث الحراسة المستمرة ليلاً ونهاراً، وحيث بلغ الجوع بالنبي، صلى الله عليه وسلم، وبعض أصحابه

إن ربطوا الحجر على بطونهم. ومن هذا الموقف الحرج الشديد الخطورة على الإسلام وأهله وعلى أهل المدينة - الذين هم جُلّ أهل الاسلام في ذلك الحين - وبعد أن يوقع النبي، صلى اللّه عليه وسلم، الخلاف بين قريش واليهود في واقعة نعيم بن مسعود ضاق المسلمون ذرعاً، فيتدخل الله معهم، فيرسل جنوداً لم يروها ويرسل ريحاً عاصفة تكفت القدور في جيش قريش وتهدم الخيام ويصيبهم الذعر، وقبل أن يأتي جند الله تظهر الفئة المنافقة الشماتة وتعلن أن وعد النبي، صلى الله عليه وسلم، للمسلمين - بفتح مشارق الأرض ومغاربها - كان نوعاً من الغرور، وأما الفئة المؤمنة فأيقنت بنصر الله.

ويصور القرآن الكريم هذه القصة أبلغ تصوير فيقول في سورة الأحزاب: «**يأيها الذين آمنوا، أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا. إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذْ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظنونا، هنالك أبتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديدا. وإذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ: ما وعدنا اللهُ ورسولهُ الا غروراً**» (٩ - ١٢: الأحزاب).

ألا ترى أن المنافقين في هذا العصر هم الذين أشرت اليهم سابقاً من أقصى اليمين الماسوني الى أقصى اليسار الشيوعي، وما بينهما من هذه الأحزاب والمسميات التي تشكك في نصر الله والتي تدعو الأمة الى اليأس والقنوط، والتي تشكك في الآيات والأحاديث والتي تدعو الأمة لأن

تستسلم لعدوها وأن وضعها ميئوس منه وأنها لا تقوى على المقاومة .. والذين يبثون هذه الآراء في الأمة هم حكام التجزئة وأعوانهم من المنتفعين الذين يرون نصر الأمة بالإسلام ضياعاً لامتيازاتهم وتذويباً لدويلاتهم وعوداً للمجد وللنصر وللعزة المؤمنة.

وأما الفئة المؤمنة، على قلتها، فهي ترى أن النصر آتٍ وأن وعد الله قائم: **«ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا اللهُ ورسولهُ، وصدق اللهُ ورسولهُ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً»** (٢٢ : الأحزاب).

ونحن اليوم نرى أن قتال اليهود هو وعد لنا قبل قيام الساعة في آيات الإسراء وآيات المائدة وفي أحاديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهو وعد من الله ورسوله زادنا إيمانا بالله وبرسوله وبالاسلام كله وأننا على حق وأن الفئات المنافقة الكافرة هي التي أوصلتنا الى الهزائم وأن نصر الله آت لا ريب فيه وأن جند الإسلام – وليس جند القوميات ولا جند اليسار ولا جند اليمين الرجعي – هو الذي سينتصر لأنه سيقاتل تحت راية «الله أكبر» لا تحت رايات عنعنات الجاهلية ولا شعارات الإيديولوجيات التي نرفضها لأننا مسلمون، وسيردّ الله تآمر الغرب الصليبي على أعقابه يوم يرون دولتهم التي أقاموها وقد أصبحت من مخلفات التاريخ، يبحث علماؤهم عن الأسباب التي أدت الى زوالها ولا يعلمون أن هذا وعد الله تحقق في زوال دولة اليهود، كما تحقق في زوال دولة الصليبيين قبلها، ولكن بأسرع مما يتصور الكثيرون وبأسرع مما زالت به دولة الصليبيين، وسيقذف الله في قلوب اليهود الرعبَ كما قذف في قلوب آبائهم يوم الخندق حيث يصفهم الله

فيقول : «وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعبَ، فريقاً تَقْتلون وتأسرون فريقاً» (٢٦ : الأحزاب). وهذا ما سيكون : سنقتلهم حيث ثقفناهم ونخرجهم من حيث أخرجونا، وسيعود الإسلام، به نقاتل وننتصر، وبه نعيش ونحيا، وبه نطهر ونتطهر، وبه نتوحد بعد فرقة، وبه ستلغى الحدود، وبه ستلغى جوازات السفر، وبه ستلغى السفارات بين بلاد المسلمين، وبه ستذهب هذه الأعلام التي لا حصر لها ولا عدّ، وستبقى راية الإسلام وحدها هي المرفوعة وهي التي لها العزة والكرامة.. كل ذلك سيكون بالاسلام لأن القوميات لا يمكن أن تفعل ذلك ولا الايديولوجيات يمكنها أن تفعل ذلك حيث لم نر في ظلها وتحت شعاراتها الا الخزي والعار والهزائم والسخائم.

خلاصة تفسير آيات الإسراء

نحن نعيش في مرحلة تاريخية، قبل قيام الساعة، أخبرت عنها آيات من القرآن وأحاديث صحيحة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم. وهذه المرحلة سلسلة من العذاب الذي سلطه الله على اليهود منذ أن غضب الله عليهم حينما قتلوا الأنبياء وعصوا الرسل وقال الله فيهم: **«وإذْ تأذَّن ربُّك ليبعثنّ عليهم الى يوم القيامة مَنْ يسومهم سوء العذاب»** (١٦٧ : الأعراف). والآيات الخاصة بشأن هذه المرحلة التي نعيشها وردت في سورة الإسراء، وخلاصتها تتمثل في النقاط التالية:

١) سورة الإسراء تتحدث عن علاقة اليهود بالمسلمين.

٢) سمي المسجد الاقصى «مسجداً» ليلة الإسراء.

٣) نقل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة الإسراء من مكة الى القدس ليكرس المسجد الأقصى مسجداً وليصعد من ساحاته الى السماوات العلا الى سدرة المنتهي.

٤) تتحدث آيات الإسراء عن علوّين وفسادَيْن قضى الله بهما على بني إسرائيل في الكتاب.

٥) المفسرون القدامى أخذوا يبحثون عن العلوين والفسادين والتدميرين في التاريخ الذي سبق نزول القرآن. واليهود عذبوا قبل الإسلام وعذبوا بعد الإسلام وسيستمر العذاب فيهم الى قيام الساعة بنص الآية. إذن ليس هناك من داع للبحث عن عذاب اليهود التي أشارت اليها آيات الإسراء في التاريخ ما دام السياق في الآيتين يشير الى أن المرتين بعد نزول القرآن وليس قبله، للأسباب الآتية:

أ - يقول الله تعالى (٤ - ٥ : الإسراء) : «**وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتُفسدُنّ في الأرض مرتين ولتعلنّ علوا كبيرا. فاذا جاء وعدُ أولاهما**» فكلمة «اذا» شرطية لما يستقبل من الزمان ولا علاقة لما بعدها بما قبلها. و (اللام) في (لتفسدن) و (لتعلن) لام الاستقبال.

ب - يقول الله : «**فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا**».

وكلمة (عباد) إذا أضيفت الى لفظ الجلالة فهي في موطن التشريف. ولا يوصف بها الا المؤمنون. و نبوخذنصر كان وثنياً فلا يستحق هذا التشريف. وكذلك الرومان كانوا وثنيين فلا يستحقون هذا التشريف. يقول الله تعالى : «**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**» (٤٢ : الحجر).. وهذا الوصف ينطبق على أصحاب رسول الله. صلى الله عليه وسلم. الذين قاتلوا في المدينة وفي خيبر وفي تيماء وفي المدينة. وهذه هي المرة الأولى التي تشير إليها الآية. وأما المرة الثانية فيقول تعالى : «**ثم رددنا لكم الكرة عليهم**» (٦ : الإسراء). والكرة - لغةً - الدولة والسلطة. فهل جعل الله لليهود سلطة على البابليين؟ لم يحدث هذا. هل يمكن أن يحدث الآن أو في المستقبل؟ يستحيل ذلك لأن البابليين قد انقرضوا. الذي حصل أن الله جعل الكرة لليهود على أبناء المسلمين الأوائل بعد أربعة عشر قرناً.

٦) يقول الله تعالى : «**وأمددناكم بأموال وبنين**» (٦ : الإسراء). لم يحدث أن مُدّ اليهود بأموال وبنين إلا في هذه المرة التي نعيشها. فدولة اليهود تعيش على التبرعات التي تأتيها من الغرب الصليبي وعلى المهاجرين الذين يأتونها من الغرب الصليبي ومن الشرق الشيوعي.

٧) يقول الله تعالى: **«وجعلناكم أكثر نفيراً»** (٦: الإسراء)، حيث تمدكم بالعون العسكري أكبر دول الأرض: أمريكا ودول الحلف الأطلسي.

٨) يهدد الله اليهود بعد أن قامت لهم دولة أنهم إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فعليها. واليهود لا يمكن أن يحسنوا، وإساءتهم متحققة، ولذلك فلابد أن تزولَ دولتهم وتدمر.

٩) فاذا جاء وعد المرة الثانية في تدمير علوكم فسيدخل المسلمون المسجد الأقصى كما دخله المسلمون أول مرة فاتحين وسيدمر علو اليهود المادي والمعنوي.

١٠) في آخر سورة الإسراء آية تتعلق بقضية علو اليهود الثاني وتدميرهم الثاني وهي قوله تعالى: **«وقلنا من بعده لبني إسرائيل: أسكنوا الأرض. فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيرا»**، فالآية تشير الى المسجد الأقصى كما دخله المسلمون أول مرة فاتحين، وسيدمر علو اليهود المادي والمعنوي.. أي أن اليهود سيأتون في المرة الثانية الى هذه الديار جماعات، جماعات، كما هو حادث الآن، والآية تشير الى بشرى للمؤمنين وإنذار للكافرين.

خلاصة تفسير آيات المائدة

أ – تتحدث الآيات عن ولاء بين اليهود والنصارى. والواقع التاريخي يشير الى أن العداوة بين اليهود والنصارى قائمة دائماً منذ أن اتهم النصارى اليهودَ بصلب المسيح حسب زعمهم، فلم توجد دولة نصرانية الا وعذبت

اليهود ، فكيف يمكن التوفيق بين الواقع التاريخي وبين ما أشارت اليه آيات القرآن الأخرى من العداوة بين اليهود والنصارى كقوله تعالى : «**يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين : مَنْ أنصاري الى الله ، قال الحواريون : نحن أنصارُ الله ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل** [أصبحت نصرانية] **وكفرتْ طائفة** [بقيت على يهوديتها] **فأيدنا الذين آمنوا** [النصارى] **على عدوهم** [اليهود] **فأصبحوا ظاهرين**» (١٤ : الصف).

٢ – بعض المفسرين حينما رأوا الواقع التاريخي والآيات الأخرى يشيران الى العداوة بين اليهود والنصارى وليس الولاء ، قالوا إن المراد لقوله تعالى : «**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ ، بعضُهم أولياءُ بعض**» (٥١ : المائدة) أن كل فئة موالية لبعضها البعض ، وليس الولاء بين اليهود والنصارى مجتمعين ! وهذا قول مردود حيث أن آيات القرآن تشير الى عكس ذلك فيقول الله في الآية (١٤) من سورة المائدة : «**ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظّاً مما ذُكِّروا به فأغرينا بينهم العداوةَ والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبِّؤهم اللهُ بما كانوا يصنعون**» ، وكذلك اليهود ليس بعضهم أولياء بعض ، الله يقول : «**تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى**» (١٤ : الحشر) ، ويقول في الآية ٦٤ من سورة المائدة : «**وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولة غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً ، وألقينا بينهم العداوةَ والبغضاء الى يوم القيامة**».. والعداوة بين شقي اليهود الرئيسيين السفارديم والأشكناز مشهورة معروفة ، وكذلك العداوة بين أحزابهم المختلفة غير خفية .

٣ - إذن تبين أن المراد بالولاء بين اليهود والنصارى ليس ولاء دائماً وإنما هو لفترة محدودة بدأت بأول القرن العشرين حيث تعاون اليهود والنصارى على عزل السلطان عبد الحميد، رحمه الله، حينما رفض أن يعطي امتيازات لليهود في فلسطين. ثم جاءت بريطانيا النصرانية فأعطت وعد بلفور ثم جاءت عصبة الأمم النصرانية فأعطت صك الانتداب على فلسطين لبريطانيا النصرانية ثم عينت بريطانيا النصرانية أول مندوب سام لها في فلسطين - هربرت صموئيل - وهو يهودي وضع الأسس لقيام دولة يهودية في فلسطين لسنّه القوانين والتشريعات وفرضه الضرائب الخ.. ثم جاءت هيئة الأمم النصرانية فأعطت قرار قيام دولة اليهود سنة ١٩٤٧ (قرار التقسيم). وفي سنة ١٩٥٦ تعاونت جيوش يهودية ونصرانية - لأول مرة في التاريخ - في العدوان الثلاثي على مصر المسلمة. وفي الستينات قرر المجمع المسكوني للبطاركة الكاثوليك برئاسة البابا يوحنا الثالث والعشرين تبرئة اليهودية من دم المسيح. حسب زعمهم. وكذلك فعل سلفه البابا بولس السادس. وقد أخذ التعاون شكله الجلي الواضح بين اليهود والنصارى بقتال النصارى الموارنة مع اليهود في خندق واحد ضد المسلمين الفلسطينيين واللبنانيين في لبنان وتعاون أحزاب «الكتائب» برئاسة بيار الجميل «والوطنيين الأحرار» برئاسة كميل شمعون وميليشيات «الرهبنات اللبنانية» برئاسة الأب شربل قسيس مع اليهود. وبشكل علني، وكذلك انضمام فئة من الجيش اللبناني الماروني الى قوات اليهود في جنوب لبنان برئاسة الرائد الماروني النصراني سعد حداد. ثم اللواء أنطون لحد بشكل يقطع - جهيرة - كل داع الى القومية العربية المحركة من الاسلام حيث انهارت القوميات النظرية العلمانية والتي تدعو الى العروبة مع الاشتراكية والشيوعية.

٤ – تتحدث الآيات على أن الذين يوالون اليهود والنصارى هم ضد أمتهم وارتدوا عن الإسلام وأصبحوا من اليهود والنصارى.

٥ – تشير الآيات الى أن هذه الفئات المرتدة التي تتعاون مع اليهود والنصارى ضد أمتها تكون عادة من أصحاب النفوذ والسلطان لأن الله يصفها بالظلم والظلم والعدل يوصف به أصحاب النفوذ والسلطان عادة.

٦ – تتحول هذه الفئات المرتدة المتعاونة مع النصارى واليهود ضد أمتها الى فئات مريضة القلب أي منافقة فهي تظهر أمام الأمة بمظهر لا يدل على حقيقتها وتظهر أمام اليهود والنصارى بمظهرها الحقيقي.

٧ – تسارع هذه الفئات المتعاونة مع اليهود والنصارى فتبذل كل جهدها في إرضائهم فتنفذ كل ما يطلب منها. فهي تعمل بقوانين اليهود والنصارى وهي تقتل الحركات الإسلامية وهي تبيح كل ما حرم الله وهي تسلم الأوطان علّها تبقى في السلطة.

٨ – إذا سألت هذه الفئات: لم تسارع في إرضاء اليهود والنصارى، أجابتك: لأنها تخشى أن تصيبها دائرة. فهي تخشى على سلطانها ونفوذها وكراسيها من اليهود والنصارى.. وفي هذا إشارة الى أن وقت تحقق معنى هذه الآية تكون السلطة في الأرض وخصوصاً في بلاد المسلمين لليهود والنصارى مجتمعين.

٩ – حينما تصل هذه الصورة الى نهايتها وتأخذ حجمها الحقيقي يصيب الفئة المؤمنة نسبة ما من التغيير.

١٠ – عندها يأخذ الله سبحانه وتعالى الأمر بحكمته فيعالجه معالجة جذرية فيقول: **«فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده»** (٥٢: المائدة). والفتح هنا الفصل والحكم، فهو سيفصل بين الفئة المؤمنة القليلة

وبين اليهود والنصارى والمتعاونين معهم لأمر هو يعلمه.

١١ - ولقد بدأت بوادر هذا الأمر تظهر في الانتفاضة العظيمة التي حدثت في إيران المسلمة والتي أطاحت بالعمود الفقري لدولة اليهود وللأنظمة المتحالفة معها. وظهر، قبل ذلك، في شباب الأمة وشاباتها في إقبالهم نحو الإسلام.

١٢ - سيندم كل من تعاون مع اليهود والنصارى ضد أمته في الحياة الدنيا قبل الآخرة كما ندم الشاه وأعوانه، كما سيندم الكثيرون يوم تمتد موجة الإسلام فتخلع كل باطل وتزلزل كل ظالم وتمحو السيئ من الأرض كما ندم السادات.

١٣ - عندما يحدث ذلك ستتكشف حقائق مرعبة وأمور مذهلة وخفايا كثيرة لهؤلاء الذين يواجهون الأمة بوجه وعدونا بوجه آخر حتى تستغرب الأمة أو الفئة التي خُدعت: **«أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم، حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين»**.

١٤ - يحذر الله الأمة من أن ترتد فتتبع اليهود والنصارى والذين فعلوا ذلك ويفعلون سيندمون على مافعلوا فسوف يأتي الله بأحبابه. وأحباب الله هؤلاء هم الذين يخلفون المرتدين، وهم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين. والمرتدون أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين. والمرتدون لا يريدون الجهاد. وأحباب الله يجاهدون في سبيل الله. والمرتدون يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة، وأحباب الله لا تأخذهم في الله لومة لائم.. هي صور متقابلة للقيادات المؤمنة وللقيادات المرتدة.

١٥ - حينما يأتي أحباب الله هؤلاء سيكونون موضع استغراب الناس كما حدث في إيران فلم يكن أحد يتوقع الذي حدث بقيادة هذا العالم

الجليل – الامام الخميني – الذي اقتلع الباطل من جذوره. فالله يجيب على هذا التساؤل والاستغراب. **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»** (٥٤ : المائدة).

١٦ – يأمرنا الله بألا نوالي اليهود والنصارى، اذن نوالي من؟ يجيب الله سبحانه وتعالى: **«إنما وليُّكم اللهُ ورسولهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»**. بعد ذلك يختم الله بالنصر الأكيد: **«ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون»** (٥٥ – ٥٦ : المائدة).

فإذا ربطنا آيات الإسراء المتعلقة باليهود وآيات المائدة المتعلقة باليهود والنصارى وموالاتهم بالأحاديث الصحيحة التي وردت عن قتال اليهود، والتي رواها البخاري ومسلم، وجدنا أن النصر حتمي وأن زوال دويلة اليهود حتمي كذلك. وهذا نص ما رواه مسلم: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر أو الشجر: يامسلم، ياعبد الله، ورائي يهودي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».. ورواية البخاري: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر أو الشجر: يا مسلم ورائي يهودي تعال فأقتله».

هذا كتاب الله ينطق بالحق وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، توضح الحق.. ونحن اليوم في مرحلة من مراحل التغيير في الأرض حيث ينخلع الرداء المزيف، نداء القوميات العلمانية والوطنيات الضيقة والماسونية الحاقدة

والرأسمالية المستغلة والشيوعية الملحدة وعنعنات الجاهلية وسخافات الإقليمية ، ونلبس رداءنا الذي فصّله الله لنا والذي خرجنا به يوما الى الدنيا فكنا خير أمة أخرجت للناس يسوسنا كتاب ربنا وسنة نبينا ، عواصمنا عاصمة وراياتنا راية وجيوشنا جيش وحكامنا حاكم هو خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في تطبيق الشرع .

تطل علينا أيام فيها الخير ولكنها ليست سهلة ، حيث أن المعركة الأخيرة بيننا وبين اليهود في أرض الاسلام ستكون مريرة يشترك فيها المسلمون كل المسلمين ولكن النصر فيها محتوم باذن الله : **«ولينصرن الله من ينصره. إن الله لقوي عزيز»** (٤٠ : الحج). أبشروا بيوم كيوم بدر ويوم القادسية ويوم اليرموك ويوم حطين: «ويقولون متى هو؟ قل: عسى أن يكون قريباً» (٥١ : الإسراء).

عوامل النصر التي تملكها الأمة

بيّنت الآيات والأحاديث التي شرحناها في هذا الكتاب أن دولة إسرائيل لن تدوم ، وأن زوالها حتمي ، مهما حاول الكفر أن يطيل من عمرها ، أو يعطيها أدوية مصطنعة ليستمر بقاؤها. ولكن هل تزول اسرائيل بالدعاء وحده ، أو بتفسير الآيات وحدها ، وببيان الأحاديث النبوية التي تبشر بزوالها؟ إن ذلك لا يقول به الإسلام ، إذ لم يكتف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالدعاء على الكافرين ، وإنما جهّز الجيوش وخاض المعارك وانتصر حينما كان اصحابهُ يتقيدون بالأمر الرباني ، وكان ينهزم أصحابه حينما يخالفون الأمر كما حدث في (أحد) حينما خالف الرماة أمر النبي ، صلىّ الله

عليه وسلم، مما فتح الثغرة وانكشف ظهر المسلمين، فتسبب ذلك في هزيمتهم، أو حينما ينسون التوكل على ربهم ويعتمدون على قوتهم وحدها كما حدث يوم (حنين) إذ أصاب الجيش الإسلامي غرور بكثرة عدده فاعتبر أن النصر للكثرة ونسى أن النصر للكيف لا للكمّ. والكيف هنا (الايمان)، والإيمان هو التوكل على الله وطلب النصر منه بعد إعداد العُدة، لأن المسلمين في تاريخهم الطويل ومعاركهم الحاسمة لم ينتصروا بكثرة عددهم ولا العدّة. ففي (بدر) و (الخندق) و (فتح افريقية) و (فتح الأندلس) و (فتح الهند).. كان الجيش الإسلامي دائماً دون جيوش الكفار عدداً وعدة، وكانت جيوش الكفار تتفوق عليه بأعداد متضاعفة ولكن النصر دائماً كان حليفهم لأنهم كانوا مع الله.

واليوم والأمة في معركة البقاء - كأمة لها مقومات متميزة وحضارة واضحة ورسالة هي المنقذة للبشرية - جاء عدوها لها بأعدائها اليهود، فغرسهم في قلبها في فترة غياب الإسلام عن المجتمع وعن الحكم في فترة الفرقة وتعدد الرايات والدويلات والإمارات والمشيخات، في فترة سيادة الفكر العلماني بوجهيه الرأسمالي والاشتراكي، في فترة سيطرة أحزاب الهزيمة وزعامات الخيانة الذين وثبوا إلى الحكم بنهم وشراسة، وغرقوا في اللذة وهم في طغيانهم يعمهون، في فترة تثبيت الحدود وتعدد الجوازات وكثرة الأعلام والرايات.. وكانت هذه الأحزاب وتلك الزعامات تظن أن الإسلام قد انحسر ولم يعد مؤثراً في الحياة، وأنهم استطاعوا أن يحصروه، هم والكفار، في المساجد والزوايا والتكايا، وفي الدروشة الفارغة، وفي الصوفية المتطرفة الملحدة التي تتعدد فيها الآلهة.. ظنوا أنهم آستطاعوا أن يحولوا

الإسلام بهذه الفرق التي أنشأها الكفر في القديم والحديث كالفرق الباطنية بمختلف أسمائها ومسمياتها وكالقاديانية والبهائية والبابية ، فنام الكفر ونامت الأحزاب الضالة ، والزعامات المنحرفة ، مطمئنة الى أن الأمر قد انتهى ! وفجأة ، فإذا الاسلام يحرِّك النفوس من جديد وإذا شباب الأمة يصحون من غفوتهم ويستيقظون من سباتهم واذا هم متجهون إلى الله ، يملأون المساجد ويتدارسون القرآن ويطلقون اللحى ويتفقهون في دين الله . وخافت الأحزاب الكافرة والزعامات الفارغة من لحاهم فأصبح صاحب اللحية مطارداً في كثير من هذه الدويلات ، ولكن هذه الأحزاب والزعامات تحس في قرارة نفسها أنها مسلَّطة على الأمة بالحديد والنار وأن أجلها محتوم وأن خلاص الأمة منها قضاء مبرم ، وأن الأمة تسير الدرب الى النصر وهي في طريقها تملك الإمكانات الضخمة للنصر وللغلبة وللتخلص من دولة اليهود ، من الفرقة ، من أسباب الهزيمة . وأسباب النصر هذه أوجز بعضها كما يلي :

أولاً : (أ) تملك الأمة عقيدة راسخة ؛ وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، هذه العقيدة التي تربى عليها أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومن بعدهم جنود الإسلام عبر التاريخ ، فانتصروا بها .. هذه العقيدة التي تجعل النصر بيد الله : **«وما النصر إلا من عند الله . إن الله عزيز حكيم»** (١٠ : الأنفال) .. هذه العقيدة التي تقرر أن الأجل محدود ، فلا يموت الإنسان إلا بانتهاء أجله ، لا يُميته الحرب ولا المرض ولا تبقيه الصحة والنشاط : **«فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»** (٣٤ : الأعراف) . فكم من مريض عاش سنوات طويلة حتى ملّ الحياة من مرضه وملّه أهله ، وكم

من صحيح معافى مات ولا يملك الأطباء إلا أن يقولوا أنها «السكتة القلبية» ، وهي في الحقيقة انتهاء الأجل !

(ب) هذه العقيدة تجعل الشهادة في سبيل الله أسمى ما يطمح إليه المسلم ، لما أخبرت به الآيات والأحاديث عن النعيم الذي يلقاه الشهيد في الجنة والحياة الكريمة التي يحياها بعد الموت : «**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزَقون ، فرحين بما آتاهم اللهُ من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألّا خوف عليهم ولا هم يَحْزَنون**» (١٦٩ – ١٧٠ : آل عمران) ، «**ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلك خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويُدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عَدْن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبّونها : نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين**» (١٠ – ١٣ : الصف) .

والجهاد هو حياة الأمة ، إن تركته ذلت ، وغُزِيت في عقر دارها . والشهاده نعيم لا يعدله نعيم . وقد ورد في حديث البخاري عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، : «جعل الله للشهداء في الجنة مائة درجة ، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض ، وإن أوسطها الفردوس فاسألوا الله الفردوس» .

ويغفر للشهيد بأول قطرة تنزل من دمه ، كما ورد في الحديث : «ويغفر له جميع ذنوبه ما عدا حقوق العباد» ، وقد خص الله شهيد البحر بميزة أنه

«يغفر له حتى حقوق العباد» كما ورد في الأحاديث.

فأمة تملك هذه العقيدة لا تحرص على حياة الذل والهوان والمسكنة والاستسلام وبالرضا بالأمر الواقع والخنوع للعدو الكافر.

ثانياً: تملك الأمة الطاقة التي تحرك الآلة في الأرض، فاذا منعت هذه الطاقة عن العدو ركع بين يديها يطّلب رحمتها.. وما أسخف أولئك الذين يقولون: إن البترول لا علاقة له بالسياسة، حتى يستمروا في فجورهم وانحلالهم، وحتى أصبح كثير منهم سبة في جبين الأمة، يعطون عدوهم البترول ليقتلهم به في الطائرات التي يقدمها لليهود وفي المدافع والدبابات والسيارات والكهرباء وكل آلات الفتك. فهل رأيتم كيف يتصرف هؤلاء الناس في ثروة الأمة في السلاح الفتاك التي أعطاها الله لهم. فوالله لو أتخذ أصحاب البترول من الثوريين والرجعيين قراراً بوقفه وقفة واحدة، ولمدة أسبوع فقط، ما بقيت دولة اليهود بعد هذا الأسبوع، ولكنه الحرص على الحياة وعلى المتع الرخيصة وعلى القصور والفجور مما يعرف الناس ولا يعرفون، ومما سمعوا به ولايسمعون، وأمتهم تموت كل يوم وعدونا يقتل أطفالنا ونساءنا ويعذب ثوارنا، ويدمر بنياننا.. ووصل الأمر بأنور السادات أنه أعلن هو وزمرته أنهم سيعطون البترول لليهود بعد أن قطعت الثورة الإسلامية في إيران الطاقة عن اسرائيل. والعقيدة، التي أشرت اليها، تحرم بيع البترول للعدو لأن هذا ولاؤنا له.

ثالثاً: تملك الأمة وسائل التحكم في النقد العالمي فلو كان حكامها على مستوى المسؤولية لأسقطوا الدولار - العملة الرئيسية في العالم - بقرار يتخذ

ألا يقبل ثمن البترول بالدولار، وأن يكون هناك دينار إسلامي يدفع به ثمن البترول، إذ أن البترول في آسيا وافريقيا ويملك المسلمون معظمه.

ولكن الوهن يسيطر على الفئات المتنفعة فتتشبث بالحياة وتكره الموت. وفي فترة من الفترات أعلنت السعودية أنها لا تريد أن تأخذ ثمن ربع بترولها بالجنيه الاسترليني فسقط الجنيه في الأسواق العالمية خلال ساعات. فاضطر وزير المالية البريطاني ان يهرع الى الرياض ويقابل الملك فيصل ويطلب منه إنقاذ بريطانيا بتصريح واحد، يعلن فيه أن الجنيه سيبقى ساري المفعول في دفع ثمن ربع البترول. أما الآن فقد أفقدوا البترول قيمته وأخرجوه نهائيا من المعركة خدمة للاستعمار.

رابعاً: الأمة تملك العدد الوفير فهي تملك أكثر من المليار من المسلمين منهم ١٥٠ مليونا من العرب... لكنها الكثرة التي عبر عنها رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها، ولينزعنّ اللهُ مهابَتكم من قلوب عدوكم وليقذفنّ في قلوبكم الوهن». قالوا: «وما الوهن يارسول الله» قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». قالوا: «أمِنْ قلة نحن يومئذ يارسول الله؟» قال: «بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل». ولكن هذا الغثاء بدأ يرسب الى القاع، وبدأ الجوهر يبرز على وجه الحياة في الأمة في هذا الشباب المؤمن المتفتح القوي الذي بدأ يستهجن بالموت وبدأت رياح الخير تهب وستعصف بكل الفساد والفرقة والانحلال والضعف والهوان والوهن: **«ويقولون: متى هو، قل: عسى أن يكون قريباً»** (٥١: الإسراء).

خامساً: تملك الأمة الأرض الواسعة التي تمتد عبر ثلاث قارات، ولكنها أرض مجزأة، فلو توحدت لأعطت عمقاً استراتيجياً يقصر العدو عن بلوغ مداه. في العمق الجنوبي الغربي تمتد فلسطين الى المغرب الأقصى، ومن فلسطين الى السودان ونيجيريا، وبقية دول أفريقيا المسلمة، وفي العمق الشرقي يمتد الى بحر الصين وحدود جبال هملايا، وتمتد في أوروبا الى استانبول عاصمة الخلافة، حيث المدينة فيها جزء أوروبي والآخر آسيوي.

هذه الأمة بإمكانياتها هذه، هل يُعجِزها اليهودُ؟ وما اليهود؟ لولا أن حدودهم محمية، فوالله لو دخلناها عليهم بأيدينا ما بقي منهم أحد. إننا سنقتلهم.. بقدرهم جاءوا، فظلموا وبطشوا حتى يبرر الله لنا قتلهم: **«واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم»** (١٩١: البقرة).

ملحق
رد على فتوى شيخ الأزهر
عبد الرحمن البيصار

استند شيخ الأزهر عبد الرحمن البيصار الى الأشياء التالية :

أولاً : الآية **«وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»** (٦١ : الأنفال) .

ثانياً : صلح الحديبية .

ثالثاً : عرض النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على الانصار في أن يصالح قبيلة غطفان على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة مقابل انسحابهم من المعركة في غزوة الأحزاب .

رابعاً : أن السادات إمام واجب الطاعة .

ولما كان للاستناد الى هذه الآيات والأحاديث وعمل الرسول والقاعدة الفقهية هو تحريف للكلام عن موضعه ، وتضليل للمسلمين ، وكذب على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين ، حيث يدخل هؤلاء عبد الرحمن البيصار شيخ الأزهر ، ومن سار على دربه ، وعبد المنعم النمر وزير الأوقاف والأزهر في مصر ومن سار على نهجه ، هؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى في وصف أحبار بني إسرائيل : **«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»** .

وأنا لا أشك أن هولاء العلماء قد ضلّوا ، وهم يتبعون هوى الحاكم ، فلو أعلن السادات حرمة الصلح مع اليهود لقدّموا الأدلة على عدم جواز الصلح ، ولتمادوا في إرضائه كما فعلوا عندما حاول تبرير ردته ، ولذلك هم خرجوا بهذا من الإيمان بنص الحديث : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به» والله يقول : **«بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . أيبتغون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعاً . وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفَر بها ويُستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم اذاً مثلُهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً»** (١٣٨ – ١٤٠ : النساء) .

وهل هناك أعظم من الاستهزاء بآيات الله من أن يصبح اليهود أعداء الله والمؤمنين بنص القرآن : **«لتجدنّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا»** (٨٢ : المائدة) : أصدقاء وأحبابا لأنور السادات وشيخ الأزهر استهزاءً بآيات الله وكفرا بها . ولقد حدثني صديق يقدم رسالة الماجستير في القاهرة ، وكانت الرسالة تتعلق بالدعوة الإسلامية ، أن أحد أعضاء المناقشة للرسالة رفض أن يجيزها ، لأن فيها فصلاً يتحدث عن جرائم بيغن ، وقتله للنساء والأطفال في (دير ياسين) ، فقال الأستاذ : «إن اليهود قد أصبحوا أصدقاءنا وبيغن هو صديقنا فلا يجوز أن نهاجمه ويجب أن يُحذف هذا الفصل من الرسالة» ، ولكن الصديق أصر على بقائها ورفض الحذف ، ولو أدى ذلك الى عدم نيل الشهادة .

وهكذا يعمل علماء السوء في خدمة الحكام المنحرفين والمرتدين ليشتروا

بعملهم هذا ثمناً قليلاً من منصب أو مال أو جاه : «**تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**».

ولنبدأ بمناقشة الأدلة التي استند اليها المفتون في فتواهم ، **أولاً** : الآية : «**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها**».

أخذ المفتون الآية عما قبلها وعما بعدها فبتروها بترا ، فهم كمن يستدل على حرمة الصلاة بقوله تعالى : «**فويل للمصلين**» ، تاركاً تكملة الآية التي تقول : «**الذين هم عن صلاتهم ساهون**» (٥ : الماعون) فالآية تبدأ بقوله تعالى : «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وأنتم لا تُظلمون**» (٦٠ : الأنفال).

فالآية تأمر المسلمين بالإعداد المادي للمعركة وأن يُعدّوا ما يستطيعون الوصول اليه من سلاح لإرهاب عدوهم وتخويفه ليحملوا الدعوة اليه فيعرضوا عليه الإسلام أو الجزية أو الحرب . فان رفض الإسلام ورفض دفع الجزية ، كان لابد من القتال : «**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسولُه ، ولا يدينون دين الحق مِنْ الذين أوتوا الكتابَ حتى يُعْطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون**» (٢٩ : التوبة). والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» .. فاذا رفضوا وجب القتال ، فحينما ينتصر المسلمون ويغلبون ، وهذا دأبهم حينما كانوا يحملون الدعوة ، فاذا طلب عدوهم منهم في أثناء القتال أنه يريد أن يسلم أو أن يدفع الجزية

فلا يصح القتال في هذه الحالة.. ومن هنا جاء قول الله تعالى: **«وإن جنحوا للسلم فاجْنَحْ لها وتوكل على الله»**. والدليل على صحة هذا القول يأتي أيضاً من بقية الآية: **«وإن يريدوا أن يخدعوك** [أي بطلب السلم] **فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره والمؤمنين»**، أي أن الله سيكفيك النتائج المترتبة على خداعهم ومكرهم، علماً بأن بعض العلماء يقولون أن الآية منسوخة (وأنا من القائلين بعدم نسخها) والذي حدث أن اليهود لم يجنحوا للسلم، ولا يقبل منهم أيضاً إن جنحوا للسلم مع طلبهم البقاء في أرض فلسطين دولةً، لا يقبل منهم هذا الجنوح، لأن فيه إقرارا للغاصب على غصبه وتسليماً للأرض المباركة لأعداء الله. وإقرار الغاصب لا يجوز والمسلمون لم يخلقوا ليأكلوا ويشربوا وإنما خلقوا للجهاد: **«وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم»** (٧: الأنفال) – للنصر أو الشهادة – والله يقول: **«وأقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم»** (١٩١: البقرة). والله يحذر من الضعف والاستسلام، ويقول **«فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يَتِرَكم أعمالكم»** (٣٥: محمد).. وبعد هذا البيان لهذه الآية يتضح الضلال الذي وقع فيه شيخ الأزهر عبد الرحمن البيصار وعبد المنعم النمر وزير الأزهر والاوقاف ومن سار على دربهما وقد لحق بهما في ضلالهما في مصر المدعو (جاد الحق)، وهو قد تمرد على الحق في فتواه.

ثانياً: استند المفتون في فتواهم الى صلح الحديبية. وصلح الحديبية، كما ورد في السير، كان النبي، صلى الله عليه وسلم، قد خرج بأصحابه يريد العمرة، فاعترضتهم قريش حينما وصلوا الى أطراف مكة في الموضع الذي

يسمى الحديبية ثم بدأت المفاوضات بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وبين مندوب قريش سهيل بن عمرو. وانتهت المفاوضات بعقد معاهدة لمدة عشر سنوات وهي (هدنة) وليست (صلحا) ، على أن يرجع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في العام القادم فيعتمر ، هو وأصحابه بعد أن تتخلى لهم قريش عن مكة ثلاثة أيام.

والفرق بين ما عمل السادات في (كامب ديفيد) وفي صلحه مع اليهود :

أولاً : صلح (كامب ديفيد) صلح دائمي غير مؤقت بوقت. وهذا الصلح لا يجوز مع الكفار أصلاً ، كما نص على ذلك الفقهاء. وصلح الحديبية (هدنة) موقوتة لمدة عشر سنوات.

ثانيا : لم يتنازل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن أرض للكفار ، إذ أن قريشاً كانت تملك مكة وهم أهلها. أما السادات فقد تنازل عن أرض الإسلام في فلسطين وتنازل عن السيادة في سيناء التي يحرم على جيش مصر أن يدخل أجزاء كبيرة منها ، كما أعلن وزير دفاعهم (وايزمان) حينما خاطب السادات وقال له (لا تلجئني لأن آخذ سيناء مرة ثالثة) ، وهو بالفعل يستطيع أخذها في ساعة من الزمن ، لأنه بمقتضى المعاهدة الجيش المصري ممنوع من دخول الأجزاء التي انسحب منها اليهود.

ثالثاً : (أ) اعترفت قريش بمقتضى صلح الحديبية ، ولأول مرة ، بدولة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، التي أقامها في المدينة ، إذ قبلت أن تعقد

المعاهدة معها، أما الذي حدث في صلح السادات مع اليهود، فقد اعترف بهم، ولأول مرة يقرهم على غصبهم وطغيانهم وأخذهم بأرض الاسلام. هذا هو الصلح الذي استند اليه المفتون ليشروا به ثمناً قليلاً.

(ب) استند المفتون في فتواهم الى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أراد أن يصالح قبيلة غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى تنسحب من معركة الخندق وقد عرض النبي، صلى الله عليه وسلم، الأمر على الأنصار فرفضه الأنصار وقالوا بعزة المؤمنين: «كنا ونحن وإياهم في الجاهلية لا نعطيهم من ثمارنا شيئاً إلا قرىً أو بثمنه، فكيف نعطيهم وقد أعزنا الله بالإسلام». وكان هذا الأمر امتحاناً من رسول الله لإيمانهم وقوة شكيمتهم ودعم الذين كانوا في أشد البأس والضرر. ومع ذلك فإن النبي لم يعرض التنازل عن أرض المدينة لغطفان وإنما عرض أن يتنازل عن ثلث ثمار المدينة لفترة محدودة.

رابعاً: (أ) استند المفتون في فتواهم الى أن السادات «إمام واجب الطاعة»، وهنا يقل الأمر في الفتوى الى الهزال والتضليل الذي ليس بعده هزال وتضليل. فالإمام الواجب الطاعة هو إمام المؤمنين الذي اختاره المسلمون ليحكم بينهم بما أنزل الله، وليطبق عليهم شريعة الله.. والأصل أن يكون إمام المسلمين واحداً. ولذلك يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «اذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما» وفي ثقيفة بني ساعدة حينما انتخب المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم أبا بكر، رضي الله عنه، عرض الأنصار في أثناء النقاش: «منا أمير ومنكم أمير»، فقال: «لا يجتمع

سيفان في غمد واحد». والسادات لم تأت به الأمة. وإنما جاء بانقلاب دُبّر بليل صنعته أيدي أمريكا من أجل هذا اليوم الذي تعيشه من الصلح مع اليهود. إذ أن هذا الانقلاب كانت مهمته أن يقضي على الحركة الإسلامية التي تعادي اليهود عقيدةً. حتى تستمر دولة اليهود ويمشي صلحه معهم.

(ب) السادات لا يحكم بما أنزل الله. فقوانينه تبيح الربا وتبيح الزنا وتبيح الخمر وتبيح الميسر وتأكل أموال الناس بالباطل. ولا تقيم الحدود ولا تحكم بالقصاص. ومن كان هذا شأنه فطاعته غير واجبة.

(ج) السادات ألغى الجهاد في معاهدته. والجهاد فرض من فرائض الإسلام وهو ذروة سنام هذا الدين. وهو ماض – لا يتوقف – الى يوم القيامة. والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: «الجهاد ماض الى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر». ومن ألغى فرضية الجهاد فقد ألغى الدعوة الإسلامية ومن أنكرها فقد كفر، كالقاديانية التي منعت حرب الإنجليز من قبل، وجاء السادات يمنع حرب اليهود. ويظن السادات لإلغائه فرضية الجهاد أنه وحي على هذه الأمة. ولكن لم يعلم أنه سيذهب ويبقى الجهاد. فهل تجب طاعة الحاكم الذي يلغي الجهاد -- ياشيخ الأزهر – وأنت قد تعلمت في أبسط قواعد أصول الفقه أن لا اجتهاد في مورد النص!.

إن إلغاء الجهاد يعني أن يعيش شباب الأمة في تفسخ جسمي وروحي وأن تنهار روح المقاومة فيها . وأن تفقد روح التحدي وأن تصبح أرقاما متكررة وأصفارا متتابعة ، يعيش في الدنيا بانحطاط . يستولي عليها عدوها . ويغرقها في الملذات ليقضي عليها بعد ذلك قضاءاً مبرما . وهي خير أمة أخرجت للناس . سيتدارك الله الأمة برحمته وستتخلص من أمراضها وأعدائها وزعانف الحكام فيها وأقزام الساسة لديها وستذهب أحزاب الكفر وشعارات الضلال ، وصدق الله : **«إن الذين كفروا يُنفِقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغْلَبون»** (٣٦ : الأنفال) .. **«والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»** (٢١ : يوسف) ..

١٧٥ قـرشا